الطِّباق الإيجابي في سورة هود (دراسة دلالية):

Positive counterpoint in Surat Hud (semantic study)

أ.م.د. سيد محمد رضي مصطفوي نيا: جامعة قم الحكومية / كلية العلوم الانسانية / قسم اللغة العربية وآدابها

مساعد المشرف الدكتور: عبد الصاحب طهماسبي: جامعة قم الحكومية / كلية العلوم الانسانية / قسم اللغة العربية وآدابها

الباحث: مرتضى محمد جدوع السلطاني: جامعة القاسم الخضراء / كلية التقانات الاحيائية

Supervising Professor: Syyed Mohammad Razi Mostafavinia: Qom State University / College of Humanities / Department of Arabic Language and Literature

dr_amostafavinia@yahoo.com

Assistant Supervisor Dr: Abdel-Saheb Tahmasbi: Qom State University / College of Humanities / Department of Arabic Language and Literature

as_tahmasbi@yahoo.com

Researcher: Murtadha Mohammad Jaddoa Al-Sultani: Al-Qasim Green University / College of Biotechnology

Mn2261980@yahoo.com

المستخلص:

تندرج هذه الدراسة في إطار اللسانيات إلى جانب الحقول الدّلالية؛ لما فيه من التأثير المباشر في دلالة الآيات شكليّاً ودلاليّاً. كما نراه في سورة هود أنموذجاً. ويعدّ الخطاب القرآني تعبيراً فنياً مقصوداً وليس اعتباطياً، ولهذا ينتقي الألفاظ دون غيرها بأحسن صورة وفي دقّة تامة. ولذلك سلّط الضوء على تجلّي نظريّة الحقول الدلالية (تناسب اللفظ مع دلالة المعنى)، مع بيان نماذج من السورة. وقد تمّت هذه الدّراسة حسب المنهج التّحليليّ الوصفي والإحصائيّ ابتداءً من الإطار النّظريّ وانتهاءً بالتّطبيقات وعرض الشّواهد والنماذج. ومن نتائج هذا الحقل ومن نماذج الطِّباق الإيجابي، تقديم الإنذار على البشارة في قوله تعالى: {أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ}[1]، فيعود إلى سياقها حيث سبقت صفة الإنذار {أَلاَّ تَعْبُدُوا}، التبشير {إِلاَّ اللَّهَ..}. وأيضاً استخدام اللفظتين (أُحْكِمَتْ- فُصِّلَتْ) في الآية الأولى بالواقع أنَّ هذا التفصيل جاء محكماً غير مشتت، أي أنَّ القرآن مجموعة واحدة مترابطة كالبنيان المرصوص الثّابت.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، سورة هود، الحقول الدلالية، إنتقاء الألفاظ، البديع, الطِّباق الإيجابيّ.

Abstract:

الطِّباق الإيجابي في سورة هود (دراسة دلالية)

أ.م.د. سيد محمد رضي مصطفوي نيا

مساعد المشرف الدكتور: عبد الصاحب طهماسبي

الباحث: مرتضى محمد جدوع السلطاني

This study falls within the framework of linguistics alongside semantic fields. Because of its direct impact on the meaning of the verses, both formally and semantically. We also see it in Surat Hud as an example. Qur'anic discourse is considered an intentional artistic expression and not arbitrary, which is why it chooses only words in the best way and with complete accuracy. Therefore, he shed light on the manifestation of the theory of semantic fields (the proportionality of the word to the connotation of the meaning), while explaining examples of the surah. This study was carried out according to the descriptive and statistical analytical approach, starting with the theoretical framework and ending with applications and presenting evidence and models. One of the results of this The field and one of the examples of positive antithesis is presenting the warning over the good news in His Almighty's saying: {Worship none but Allah. Indeed, from Him I am to you a warner and a giver of good tidings}, so it returns to its context, where the description of the warning preceded {that you should not worship}, the good news {except Allah..}. Also, the use of the two words (it was decided – it was detailed) in the first verse, in fact, this detail came in a precise and not dispersed manner, meaning that the Qur'an is one interconnected group like a solid, solid structure .

Keywords: The Holy Qur'an, Surat Hud, semantic fields, choice of words, wonderful, positive counterpoint.

المقدّمة:

يُعَّد الطِّباق فناً من الفنون البلاغية التي اهتمّ بها الأدباء قديماً وحديثاً؛ كونهُ يجمع بين دلالتين مضادّتين، وقد كثر وروده منذ العصر الجاهلي مروراً بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشّريف حتّى العصر الحديث، فكان ميداناً للتباري وطريقة للتفاضل بين النّصوص المختلفة التي يظهر فيها المبدع براعته وقدرته على التّصرّف في مجالات الأقوال المختلفة، كونهُ يجمع بين متضادّين في اللفظ والمعنى، وقد ورد كثيراً في

كلام العرب وكان على شكلين: (شعر ونثر)، فكان نقطة إبداع الأدباء والشعراء بكلّ ما تفرزه المعاني المتضادّة الجليلة من جمالية خلال سياق الكلام.

الطباق:

قال أبو هلال العسكري: "قد أجمع الناس أنّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة"[2]. ولذلك عرّفوه بأنّه: "الجمع بين معنيين متقابلين بأي تقابل كان، ولو كان التقابل في الجملة، أي في بعض الصور وبعض الأحوال، ويكون ذلك الجمع بلفظين من نوع واحد من أنواع الكلمة من اسمين، نحو: {وتحسبهم أيقاظا وهم رقود}. أو من فعلين، نحو: {يحيي ويميت} ، أو من حرفين، نحو: {لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت} أو من نوعين، نحو: {أو من كان ميتا فأحييناه}"[3].وقد قُسّم الطباق على قسمين: طباق الإيجاب وطباق السّلب. والقسم الأوّل هو موضوع هذا البحث.

طباق الإيجاب:

وهو كما عرفه الدكتور أحمد مطلوب: "الجمع بين الشيء وضده"[4]. أي الجمع بين الشيء وضده بلفظين موجبين.

طباق الإيجاب في سورة هود:

أحصى الباحث الألفاظ الخاصة بهذا البحث، وقسّمها على قسمين:

الألفاظ المخصوصة بالطِّباق الإيجابي، والألفاظ المخصوصة بالطِّباق السلبي، وبيّن الباحث الأثر الدلالي والسياقي لهذه الألفاظ التي قام بالبحث عنها طلباً للاختصار وعدم التّوسع في معاني الألفاظ.

الألفاظ	عدد مرات ورودها	الآيات التي وردت فيها
أُحْكِمَتْ– فُصِّلَتْ	(1)	(1)
نَذِيرٌ – بَشِيرٌ	(1)	(2)
يُسِرُّونَ – يُعْلِنُونَ	(1)	(5)
السَّمَوَات – الأَرْض	(4)	(123،108،107،7)
يَئُوسٌ – فَرِحٌ	يئوس(1)، فرح(1)	يئوس(9)، فرح(10)
الأَعْمَى– الْبَصِيرِ	(1)	(24)
الأَصَمِّ – السَّمِيعِ	(1)	(24)
مَجْرَاهَا – مُرْسَاهَا	(1)	(41)
ابْلَعِي – أَقْلِعِي	(1)	(44)
قَرِيبٌ – بَعِيدٍ	قريب (3)، بعيد (2)	قريب(81،64،61)،بعيد (89،83)

الْجَنَّةِ – النَّارُ	الجنة(3)، النار(5)	الجنة(23،108،119)، النار(16،17،98،106،113)
أَنْ نَتْرُكَ – أَنْ نَفْعَلَ	(1)	(87)
عَزِيزٍ – ضَعِيف	(1)	(91)
طَرَفِي النَّهَارِ – زُلَفاً اللَّيْلِ	(1)	(114)
شَقِيٌّ – سَعِيدٌ	(1)	(105)
زَفِيرٌ – شَهِيقٌ	(1)	(106)
النَّهَارِ – اللَّيْلِ	(1)	(114)
الْحَسَنَاتِ – السَّيِّئَاتِ	(1)	(114)
نَعْمَاءَ – ضَرَّاءَ	(1)	(10)
السَّمْعَ – الْبَصِرُ	(1)	(20)
يَا أَرْضُ – يَاسَمَاءُ	(1)	(44)
سَنُمَتِّعُهُمْ – يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ	(1)	(48)
عَالِيَهَا – سَافِلَهَا	(1)	(82)

1-اللفظتان (أُحْكِمَتْ- فُصِّلَتْ)

وردت هاتان اللفظتان في قوله تعالى: **{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}**[5]، وقد استعملتا لبيان المعنى القرآني المراد، وكان للتضاد بينهما أثر في إظهار الدلالة فضلاً عن جماليته واشتراكه في تكوين الإيقاع المنسجم مع المعنى، وفيما يلي بيان لمعناهما اللغوي والسياقي في الآية الكريمة.

***أُحْكِمَتْ:**

ذكر الأزهري أن من صفات الله تعالى: "الحَكَم، والْحَكِيمُ والحاكِمُ وهو أحكم الحاكمين، والحكيم يجوز أن يكون بمعنى حاكِم، مثل قدير بمعنى قادر، وعليم بمعنى عالم، الحُكم: القضاءُ بالعدل. قال النَّابِغَة:

واحكُم كحُكْم فتاة الحيّ إذ نظرت إلى حَمام سِراعٍ وارِدِ الثَّمَد[6]

و تقول العرب: حَكَمْت وأَحْكمتُ وحكَّمت بمعنى مَنَعْت ورددت، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكم: لأنه يمنع الظالم من الظلم. ومنه قولهم: حَكَم الله بيننا، قال الأصمعي: أصل الحُكومة ردُّ الرجُل عن الظلم، ومنه سُمِّيت حَكَمةُ اللِّجام: لأنها تَرُدُّ الدَّابَّة. وحَكَم فلانٌ عن الشيء أي رجع، قال أبو عُبيد: قوله: حَكِّم اليتيم أي امْنَعْه من الفساد وأصلِحْه كما تُصْلِح ولدَك وكما تمنعه من الفساد. قال: وكلُّ مَنْ منعتَه من شيء فقد حَكَّمْتَه وأَحْكَمْتَه. وأما قول الله جلّ وعزّ: {**الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**}[7]. فقد جاء التفسير أنه أُحْكِمَت آياته بالأمر والنهي والحلال والحرام، ثم فُصلت بالوعد والوعيد، والمعنى والله أعلم أنَّ آياته أُحْكِمَت وفُصِّلت بجميع ما يُحتاج إليه من الدّلالة على توحيد الله وتثبيت نُبُوّة الأنبياء وشرائع الإسلام، والدليلُ على ذلك قول الله جلّ وعزّ: {**ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ**}[8]. وقال بعضهم: الحكيم في قول الله: {**الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ**}[9]. إنّه فَعِيل بمعنى مُفْعَل واسْتَدل بقوله جلّ وعزّ: {**الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ**}. قلت: وهذا إن شاء الله كما قيل: والقرآن يُوضِّح بعضُه بعضاً، وإنما جَوَّزنَا ذلك وصوبناه: لأنَّ حَكَمْتُ يكون بمعنى أَحْكَمْت فرُدَّ إلى الأصل والله أعلم[10].

ويذهب الجوهري: على أنَّ الحُكْمُ: مصدر قولك حَكَمَ بينهم يَحْكُمُ أي قضَى، وحَكَمَ له وحَكَمَ عليه. والحُكْمُ أيضاً: الحِكْمَةُ من العلم، والحَكِيمُ: العالم، وصاحب الْحِكْمَةِ. والحَكِيمُ: المتقِن للأمور. وقد حَكُمَ بضم الكاف، أي صار حَكِيماً. وأَحْكَمْتُ الشيء فاسْتحْكَمَ، أي صار مُحْكَماً. والحَكَمُ، بالتحريك: الحَاكِمُ. وحَكَمَةُ الشاة: ذَقْنها. وحَكَمَةُ اللجام: ما أحاط بالحنَك. تقول منه: حَكَمْتُ الدابّة حَكْماً وأَحْكَمْتُها أيضاً. ويقال أيضاً: حَكَمْتُ السفيه وأَحْكَمْتُهُ، إذا أخذتَ على يده. وحَكَّمْتُ الرجل تَحْكِيماً، إذا منعته مما أراد. ويقال أيضاً: حَكَّمْتُهُ في مالي، إذا جعلتَ إليه الحُكْمَ فيه. فاحْتَكَمَ عَلَيَّ في ذلك. واحْتَكَمُوا إلى الحاكم وتَحَاكَمُوا بمعنًى. والمُحَاكَمَةُ: المخاصَمة إلى الحاكم. وأمَّا الذي في الحديث «إنَّ الجنة للمُحَكَّمِينَ» فهم قومٌ من أصحاب الأخدود حُكِّمُوا وخُيِّرُوا بين القَتل والكفر، فاختاروا الثبات على الإسلام مع القتل[11]. وقال الفيروز آبادي: "والآياتُ المُحْكَماتُ... التي أُحْكِمَتْ فلا يَحْتاجُ سامِعُها إلى تأوِيلِها لِبيانِها، كأَقاصِيصِ الأَنْبِياءِ"[12].

***فُصِّلَتْ:**

قال الأزهري: «قال الليث: الفَصلُ: بَوْنُ ما بين الشيئين. والفَصْلُ من الجسَد: موضعُ المَفْصل، وبين كلّ فصلين وصلٌ، والفَصلُ: القضاءُ بين الحقّ والباطل، واسم ذلك القضاء الَّذي يَفصل فيصل. أمّا وقولُ الله جلّ وعزّ: {**كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ**}[13]، له مَعنيان: أحدهُما: تفصلُ آياتِه بالفواصل، والمعنى الثاني: فصَّلناه: بيّنّاه. وقولُه جلّ وعزّ: {**آياتٍ مُفَصَّلاتٍ**}[14]، بين كل آيتين مُهْلَةٌ. وقيل: مُفَصَّلاتٍ مبَيَّنات، والله أعلم»[15]. وذكر الجوهري: فَصَلْتُ الشيء فانْفَصَلَ، أى قطعته فانقطع. والتَّفْصِيلُ أيضاً: التبيينُ. والفَيْصَلُ: الحاكمُ، ويقال: القضاء بين الحقِّ والباطل، وفى الحديث: «مَنْ أنفق نفقةً فَاصِلَةً فله من الأجْر كذا» فتفسيره في الحديث أنّها التي فَصَلَتْ بين إيمانه وكفره[16]. وقال ابن فارس: «فصل: الفاء والصاد واللام كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ على تمييز الشَّيء من الشَّيء وإبانته عنه. يقال: فَصَلْتُ الشَّيءَ فَصْلًا. والفَيْصل: الحاكم. والفَصِيل: ولدُ النَّاقةِ إذا افتُصِلَ عن أُمِّه. والمِفْصَل: اللِّسان، لأنَّ به تُفصَل الأمور وتميَّز»[17].

وقد ورد ذكرها في سورة هود في قوله تعالى: **{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}**[18].

أمّا المفسّرون، فقد قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: أن واحدة من خصائص القرآن الكريم في جملتين.

أولا: إنَّ جميع آياته متقنة ومحكمة **{كتاب أحكمت آياته}**.

وثانيا: إن تفصيل حاجات الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية – مادية كانت أو معنوية – مبين فيها أيضاً ثم فصلت.

فبمقتضى حكمته أحكمت آيات القرآن الواقع، إنَّ كلَّ واحدة من صفات القرآن التي جاءت في هذه الآية تسترفد من واحدة من صفات الله.. فاستحكام القرآن من حكمته، وشرحه وتفصيله من خبرته. وبحسب مفهوم الآية آنفة الذكر – هو أنَّ القرآن مجموعة واحدة مترابطة كالبنيان المرصوص الثابت، كما تدل على أنه نازل من إله فرد، وأن هذا الكتاب في عين وحدته فيه شعب وفروع متعددة تستوفي جميع حاجات الإنسان الروحية والمادية، فهو في عين وحدته كثير، وفي عين كثرته واحد[19]، وقال الشيخ الطوسي: وفي معنى قوله تعالى: **{أحكمت آياته ثم فصلت}** قيل في معناه ثلاثة أقوال[20]:

أحدها – قال الحسن: أحكمت بالأمر والنهي، وفصلت بالثواب والعقاب.

الثاني – قال قتادة أحكمت آياته من الباطل. ثم فصلت بالحرام والحلال.

الثالث – قال مجاهد {أحكمت آياته} على وجه الجملة {ثم فصلت} أي بينت بذكرها آية آية. والأحكام منع الفعل من الفساد.

وقال السيد الطباطبائي: إنَّ هذا الأحكام مقابل التفصيل، والتفصيل هو جعله فصلاً فصلاً وقطعة قطعة، فالأحكام كونه لا يتفصل فيه جزء عن جزء ولا يتميز بعض عن بعضٍ لرجوعه إلى معنى واحد لا أجزاء ولا فصول فيه، والآية ناطقة بأنَّ هذا التفصيل المشاهد في القرآن إنّما طرأ عليه كونه محكماً غير مفصل[21]، وقال الشيخ الطبرسي: {أحكمت آياته}، نظمت محكماً لا نقص فيه ولا خلل كالبناء المحكم، أو جعلت آياته حكيمة، من حكم: إذا صار حكيماً، كقوله: (آيات الكتاب الحكيم)، أو منعت من الفساد، من أحكم الدابة: وضع عليها الحكمة لتمنعها من الجماح، {ثم فصلت} كما تفصل القلائد، بدلائل التوحيد والمواعظ والأحكام والقصص، أو جعلت فصولاً: آية آية وسورة سورة، أو فرقت في التنزيل فلم تنزل جملة واحدة، كما تقول: هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل[22].

من خلال ما مر ذكره، نلاحظ أنَّ لفظتي (أحكمت وفصلت) لم ترد في القرآن الكريم إلاّ في سورة هود مجتمعة.. وكان لورودهما معاً أثراً في بيان المراد القرآني، فبين الإحكام والتفصيل علاقة دلالية مهمة، غالباً

ما يكون المفصل غير محكم، ولكن الأسلوب القرآني اختلف فقد أحكم أحكاماً عجيباً رغم اشتماله على بيان كل شيء.

أي أنَّ هذا التفصيل جاء محكماً غير مشتت على الرغم من تعدد سوره وكثرة آياته، إلا أنَّه جاء متماسكاً ومتسلسلاً كالبناء الواحد غير قابل للتجزئة، وهي سمة تميز بها القرآن الكريم عن سائر النصوص.

2.اللفظتان (نَذِيرٌ – بَشِيرٌ)

*** نَذِيرٌ:**

قال الخليل: "النَّذْرُ: ما ينذر الإنسان فيجعله على نفسه نحباً واجباً، والنَّذْرُ: اسم الْإِنْذَارِ، والنُّذُرُ: جماعة النَّذِيرِ، وتقول: أَنْذَرْتُهُمْ فَنُذِرُوا ولم يستعملوا مصدرا[23]، والتَّنَاذُرُ: إنذار بعضهم بعضا، والنَّذِيرُ: اسم الشيء الذي يعطى، وربما جعلت اليهودية ولدها نَذِيرَةً للكنيسة، والجمع النَّذَائِرُ، ونَذَرَ القوم بالعدو أي علموا بمسيرهم، ومُنَاذِرٌ اسم رجل، ومُنْذِرٌ كذلك"[24].

وقال ابن فارس: «نذر: النون والذال والراء كلمةٌ تدل على تخويف أو تخوُّف. منه الإنذار: الإبلاغ؛ ولا يكاد يكون إلَّا في التَّخويف. وتناذَرُوا: خَوَّفَ بعضُهم بعضاً. ومنه النَّذْر، وهو أنّه يَخافُ إذا أخلَفَ. قال ثعلب: نَذِرْتُ بهم فاستعدَدت لهم وحَذِرتُ منهم. والنّذِير: المُنْذِر، والجمع النُّذُر. والنَّذْر أيضًا: ما يجب، كأنّه نُذِر، أي أُوجِب»[25]. وقال الراغب في مفرداته: النَّذْرُ: أن تُوجِب على نفسك ما ليس بواجب لحدوثِ أمر، يقال: نَذَرْتُ لله أمراً، والْإِنْذَارُ: إخبارٌ فيه تخويف، والنَّذِيرُ: المنذر، ويقع على كلّ شيء فيه إنذار، إنسانا كان أو غيره. قال تعالى: **{هذا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولى}**[26]، أي: من جنس ما أُنْذِرَ به الذين تقدَّموا. قال تعالى: **{فَكَيْفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ}**[27]، وقد نَذِرْتُ. أي: عَلِمْتُ ذلك وحَذِرْتُ[28]، وذكر ابن أثير الجزري: وأصل الْإِنْذَارِ: الإعلام. يقال: أَنْذَرْتُهُ أُنْذِرُهُ إِنْذَاراً، إذا أعلمته، فأنا مُنْذِرٌ ونَذِيرٌ: أي معلم ومخوّف ومحذّر. ونذرت به، والحديث «انْذَرِ القومَ»، أي: احْذَرْ منهم، واستعدّ لهم، وكن منهم على علم وحذر. وفيه ذكر «النّذر» مكرّرا. يقال: نَذَرْتُ أَنْذِرْ، وأَنْذُرُ نَذْراً، إذا أوجبت على نفسك شيئا[29].

*** بَشِيرٌ:**

ذكر الخليل: بشر: البَشَر: الإنسان الواحد رجلا كان أو امرأة. هو بَشَر وهي بَشَر [وهما بَشَر]، وهم بَشَر، لا يثنَّى ولا يجمع، والبَشْر، بسكون الشين: قشرك البَشَرَة عن الجلد، والبِشَارة: ما بُشِّرْتَ به. والبَشِير: المُبَشِّر بخير أوشر. والبِشَارة: تَبَاشُرُ القوم بأمر. وبَشَّرْتُه فأَبْشَرَ وتَبَشَّرَ واسْتَبْشَرَ، ولغة: بَشَرْتُه أَبْشُرُه[30]. وذكر الأزهري: البَشَرُ: جَمْعُ بَشَرَةٍ، وقال الزَّجاجُ: معنى يَبشَرُك يَسُرُّك ويُفْرِحُك. بَشَرْتُ الرّجلَ أَبشرُهُ، إذا فَرَّحتَه، وبِشرَ يبْشَرُ، إذا فرح. قال: ومعنى يَبْشُرُكَ من البِشَارّة، وأصل هذا كله أنَ بَشرَةَ الإنسانَ تنْبَسِطُ عند السرور، يقال: بشَرْتُه، وبشَّرتُه، وبَشِرْتُهُ، وأَبْشَرْتُه، قال: وبَشِرتُ بكذا، وبَشرْتُ، وأبشرْتُ، إذا فرحتَ به، ورجل بشيرُ الوجه. إذا كان جميلَه، وامرأة بشيرة الوجه. وقال الليث: البِشَارَةُ: ما بُشِّرتَ به، والبشيرُ: الذي يُبشِّرُ القوم بأَمرٍ خيرٍ أوشَرّ، والبُشَارَةُ: حَقُّ ما يُعطَى من ذلك، والبُشرَى الاسم، ويقال: بشرْتُهُ فأبشرَ، واسْتَبشر، وتَبشَّر[31]. وقال ابن منظور: بَشَرَةٌ ومُباشَرَةُ الأَمر: أَن تَحْضُرَهُ بنفسك وتَلِيَه بنفسك. والبِشْرُ: الطَّلاقَةُ، وقد بَشَرَه بالأَمر

يَبْشُرُه، بالضم، بَشْراً وبُشُوراً وبِشْراً [بُشْراً]، وبَشَرَهُ به بَشْراً؛ وبَشَّرَهُ وأَبْشَرَهُ فَبَشِرَ به، وبَشَرَ يَبْشُرُ بَشْراً وبُشُوراً. يقال: بَشَرْتُه فَأَبْشَرَ واسْتَبْشَر وتَبشَّرَ وبَشِرَ: فَرِحَ. وفي التنزيل العزيز: **{فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ}**[32]؛ وفيه أَيضاً: وأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ. واسْتَبْشَرَه كَبَشَّرَهُ؛ يقال: بَشَرْتُه بمولود فَأَبْشَرَ إِبْشاراً أَي سُرَّ. وتقول: أَبْشِرْ بخير، بقطع الأَلف. وبَشِرْتُ بكذا، بالكسر، أَبْشَرُ أَي اسْتَبْشَرْتُ وأَتاني أَمْرٌ بَشِرْتُ به أَي سُرِرْتُ به .وبَشَرَني فلانٌ بوجه حَسَنٍ أَي لقيني .وهو حَسَنُ البِشْرِ، بالكسر، أَي طَلَقُ الوجه[33].

وقد ورد ذكرها في سورة هود في قوله تعالى: **{أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ}**[34].

أمّا المفسّرون، فقال الشيخ الطوسي: **{إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ}** "أخبار أن النبي (صلى الله عليه وآله) مخوف من مخالفة الله وعصيانه بأليم عقابه مبشر بثواب الله على طاعاته واجتناب معاصيه، والنذارة إعلام موضع المخافة ليتقى، ونذير بمعنى منذر كأليم بمعنى مؤلم. والبشارة إعلام بما يظهر في بشرة الوجه به المسرة وبشير بمعنى مبشر. وقوله {وأبشروا بالجنة} معناه واستبشروا"[35]، وذكر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: في هذه الآية... نذير لكم من الظلم والفساد والشرك والكفر، وأحذركم من عنادكم وعقاب الله لكم، وأن تستغفروا من ذنوبكم وتطهروا أنفسكم من الأدران، وأن تعودوا إلى الله بالتوبة، وأن تتصفوا – بعد غسل الذنوب والتطهر في ظل الاستغفار – بصفات الله، فإن العودة إليه تعالى لا تعني إلا الاقتباس من صفاته ثم توبوا إليه، يغفر الله لكم خطاياكم ويعدكم بأجر عظيم[36]، وذكر محمد جواد مغنية: نذير أي بالعقاب على المعصية، وبشير بالثواب على الطاعة، والاعتراف بأن محمدا (صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ) ينذر ويبشر بلسان الله تعالى[37]. وذكر السيد الطباطبائي: فالسورة تبين ذلك بنحو الإجمال الإنذار والتبشير بالموعظة والمجادلة الحسنة والحكمة، ثم تأخذ في بيانها التفصيلي بسمة الإنذار والتبشير بذكر ما لله من السنة الجارية في عباده، وإيراد أخبار الأمم الماضية، وقصص أقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليه السلام، وما ساقهم إليه الاستكبار عن إجابة الدعوة الإلهية والإفساد في الأرض والإسراف في الأمر، ووصف ما وعد الله به الذين آمنوا وعملوا الصالحات وما أوعد الله به الذين كفروا وكذبوا بالآيات، وتبين في خلال ذلك أموراً من المعارف الإلهية الراجعة إلى التوحيد والنبوة والمعاد[38].

إن اصل الكلام يعود الى سياق الآية الكريمة حيث سبقت صفة الانذار**{أَلاَّ تَعْبُدُوا}**، التبشير **{إِلاَّ اللَّهَ..}**، و هنا الخطاب فيه للناس عامة؛ فناسب السياق تقديم الإنذار على البشارة.

أما في بقية الآيات القرآنية مثل قوله تعالى:

{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ}[39]، وقوله تعالى: **{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً}**[40]..، "البقرة والاحزاب والفتح" فقدمت البشارة؛ لمقام المخاطب وهو النبي (صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ)

كرامةً له، وفي آية "فصلت" قدمت البشارة ايضاً لتقدم ذكر الرحمة، والبشارة ؛ فناسب ذلك تقديم البشارة وتأخير الإنذار[41].

فالتضاد هنا بين اللفظتين **(نَذِيرٌ – بَشِيرٌ)** بينّ واحدة من أهم التكاليف الملقاة على الأنبياء (عليهم السلام) وخاتمهم النبي محمد (صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ)، فهو البشير والنذير، ناطق بالقرآن عن الله سبحانه وتعالى.

1– اللفظتان (يُسِرُّونَ – يُعْلِنُونَ)

***يُسِرُّونَ:**

قال ابن فارس: "السين والراء يجمع فروعَه إخفاءُ الشيء، وما كان من خالصه ومستقرّه. لا يخرج شيءٌ منه عن هذا. فالسِّرّ: خلاف الإعلان. يقال أسْرَرت الشيءَ إسراراً، خلاف أعلنته. ومن الباب السِّرّ، وهو النِّكاح، وسمِّي بذلك لأنَّه أمرٌ لا يُعلَن به. ومن ذلك السِّرَار والسَّرَار، وهو ليلةَ يستسرّ الهلال، وقيل: أسررت الشيء: أخفيته. وقيل: أَسَرُّوا النَّدامَةَ، أَي كتموها خوف الشَّماتة[42]، وذكر الراغب الأصفهاني أن "الْإِسْرَارُ: خلاف الإعلان، والسِّرُّ هو الحديث المكتم في النّفس. قال تعالى: {يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفى}[43]، وسَارَّهُ: إذا أوصاه بأن يسرّه، وتَسَارَّ القومُ، وقوله: {وأَسَرُّوا النَّدامَةَ}[44]، أي: كتموها وكنّي عن النكاح بِالسِّرِّ من حيث إنه يخفى، ومنه: سُرَّةُ البطن: ما يبقى بعد القطع، وذلك لاستتارها بعكن البطن، والسُّرُورُ: ما ينكتم من الفرح[45]. وقال ابن منظور: السِّرُّ: من الأَسْرار التي تكتم. والسر: ما أَخْفَيْتَ، والجمع أَسرار. ورجل سِرِّيٌّ: يصنع الأَشياءَ سِرّاً من قوم سِرِّيّين. والسرِيرةُ: كالسِّرِّ، والجمع السرائرُ. الليث: السرُّ ما أَسْرَرْتَ به. والسريرةُ: عمل السر من خير أَوشر. وأَسَرَّ الشيء: كتمه وأَظهره، وهومن الأَضداد، سرَرْتُه: كتمته، وسررته: أَعْلَنْته، وقال أَبو عبيدة: أَسررت الشيء أَخفيته، وأَسروها: أَخْفَوْها، والسَّرَرُ والسِّرَرُ والسَّرارُ والسِّرارُ، كله: الليلة التي يَستَسِرُّ فيها القمرُ أي خَفِيَ[46].

فالسر هو الكتم وهو الاخفاء، والتستر ضد الإعلان والإظهار... إلخ.

***يُعْلِنُونَ:**

قال الخليل: "عَلَنَ الأمر يَعْلُنُ عُلُوناً وعَلَانِيَةً، أي: شاع وظهر. وأَعْلَنْته إِعْلَانا. قال:

قد كنت وعزت إلى علاء في السر والإعلان والنجاء[47]

ويقال للرجل: استسر ثم اسْتَعْلَنَ. لا يقال: أَعْلَنَ إلا للأمر والكلام، وأما اسْتَعْلَنَ فقد يجوز في كل ذلك. واعْتَلَنَ الأمر، أي: اشتهر"[48]. وقال الأزهري: "يقال: عَلِن الأمر يَعْلَن عَلناً، وعَلَن يَعْلُن إذا شاع وظهر. وأعلنته أنا إعلاناً. وقال الليث: أعلن الأمرُ إذا اشتهر. قال: وتقول: يا رجل استعلِنْ أي أظهِرْهُ. قال: والعِلَان: المعالنة إذا أعلن كل واحد لصاحبه ما في نفسه. وأنشد: والعَلَانية على مثال الكراهية والفراهية: ظهور الأمر"[49]. وقال ابن فارس: العين واللام والنون أصلٌ صحيح يدلُّ على إظهار الشَّيء والإشارة [إليه] وظهوره. يقال عَلَنَ الأمر يَعْلُنُ. وأعلنته أنا. والعِلَان: المُعالَنة[50]. قال الراغب: الْعَلَانِيَةُ: ضدّ السّرّ، وأكثر ما يقال ذلك في المعاني دون الأعيان، يقال: عَلَنَ كذا، وأَعْلَنْتُهُ أنا. قال تعالى: **{أَعْلَنْتُ لَهُمْ وأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً}**[51]، أي:

سرّا وعلانية. وقال: **{ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وما يُعْلِنُونَ}**[52]. وعِلْوَانُ الكتابِ يصحّ أن يكون من: عَلَنَ اعتباراً بظهور المعنى الذي فيه لا بظهور ذاته[53].

وقد ورد ذكرها في سورة هود في قوله تعالى: **{يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}**[54].

أمّا المفسّرون، فقد قال الشيخ الطوسي: "فبين الله تعالى انهم وقت ما يتغطون بثيابهم ويجعلونها غشاء فوقهم عالم بما يسرون وما يعلنون، لا انه يتجدد له العلم في حال استغشائهم بالثوب بل هو عالم بذلك في الأزل. ومعنى " ما يسرون وما يعلنون " اي ما يخفونه في أنفسهم وما يعلنونه أي يظهرونه {إنهّ عليم بذات الصدور} ومعناه عالم بأسرار ذات الصدور"[55]. وذكر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: قيل أنَّها نزلت في أحد المنافقين واسمه " الأخنس بن شريق " الذي كان ذا لساناً ذلقاً ومظهراً جميلاً، وكان يبدي ظاهره حباً للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لكن داخله يخفي العداوة والبغضاء، وقيل أنَّها نزلت في جماعة من المشركين، ولكن الآية تكشف طريقة النفاق التي يتبعها أعداء الإسلام، فكانوا يحاولون أن يخفوا حقيقتهم وماهيتهم عن الأنظار لئلا يسمعوا قول الحق. ذلك فإنَّ القرآن يعقب مباشرة: أن أحذروهم، فإنَّهم حين يستخفون تحت ثيابهم فإن الله يعلم ما يخفون وما يعلنون[56]، ويرى محمد جواد مغنية: "إنَّ معنى الآية يشير الى الإخبار إنَّ قوماً كانت تنطوي قلوبهم على العداوة والبغضاء لرسول الله (صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ)، وكانوا يخفون ذلك عنه، فأخبره الله بحقيقتهم، وأنه تعالى يعلم بخطرات قلوبهم، وجميع حالاتهم، وأنَّه يعاقبهم عليها بما هم أهل له"[57].

فالتضاد هنا إشارةٌ إلى أمر مهم وهو أن الله سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية، وتقديم (يسرون على يعلنون) لأنها الأهم، فغالباً ما يعتقد الانسان أن لا أحد يعلم ما يسره أو ما يعلمه بالسر، لكن الله تعالى محيط بكل شيء، سواء أكان مخفياً أم معلناً.

ويكشف لنا التضاد قدرة الله سبحانه وتعالى وعلمه في خفايا الأمور، لذلك تراه قدم السر على الإعلان؛ لأنَّ من لا يصعب عليه السر وكان يعلم دقائقه لا يساوي شيئاً له الإعلان.

4-اللفظتان (السَّمَوَات – الأَرْض)

*** السَّمَوَات:**

ذكر الخليل: سَمَا [الشيءُ] يَسْمُو سُمُوّاً، أي: ارتفع، وسَمَا إليه بَصَرِي، أي ارتفع بصرك إليه، وسَمَاوَةُ الْهِلَالِ: شخصه إذا ارتفع عن الأفق شيئا، والسَّمَاوَةُ: مَاءَ السَّمَاءِ، والسَّمَاءُ: سقف كل شيء، وكل بيت. والسَّمَاءُ: المطر الجائد، [يقال]: أصابتهم سَمَاءٌ، وثلاث أَسْمِيَةٍ، والجميع: سُمِيٌّ. والسَّمَاوَاتُ السبعُ: أطباق الأرضين. والجميع: السَّمَاءُ والسَّمَاوَاتُ. والسَّمَاوِيُ: نسبة إلى السَّمَاوَةِ[58]، وقال ابن فارس: "السين والميم والواو أصلٌ يدل على العُلُوِّ. يقال سَمَوْت، إذا علوت. وسَمَا بصرُه: عَلا. وسَمَا لى شخصٌ: ارتفع حتّى استثبتُّه.

وسما الفحلُ: سطا على شَوله سَماوَةً. وسَماوَةُ الهلال وكلِّ شيءٍ: شخصُه، والجمع سَماوٌ. والعرب تُسَمِّي السّحاب سماء، والمطرَ سماءَ، فإذا أريد به المطرُ جُمع على سُمِيّ. والسَّماءة: الشَّخص. والسماء: سقف البيت. وكلُّ عالٍ مطلٍ سماء، حتَّى يقال لظهر الفرس سَماء. ويتَّسِعون حتَّى يسمُّوا النَّبات سماء"[59]، وذكر الأزهري: قال الليث: سما الشيءُ يَسْمو سُمُوّا: وهو ارتفاعُه، وإذا رفَعتَ بَصَرك إلى الشيء قلتَ سمَا إليه بَصَري، والسُّماة: الصَّيّادُون. وسَماوَةُ الهِلال: شخصُه إذا ارتَفَع عن الأُفق شيئا، والسَّماءُ: سَقْفُ كلِّ شيء وكلّ بيت. والسَّماءُ: السحاب. والسَّماء: المَطَر. والسَّماء أيضا: اسم المَطْرة الجديدة، وإذا ذكّرت العرب السَّماء عَنَوْا بها السَّقْف. وقال الزجّاج: السماءُ في اللّغة: يقال لكلّ ما ارتفَعَ وعَلا قد سَمَا يَسمُو، وكلُّ سَقْف فهو سَماء، ومن هذا قيل للسحاب: السَّماءُ، لأنها عاليَة[60].

*** الأَرْض:**

قال الخليل: "أَرْض وجمعها أَرَضون، والأرض أيضا جماعة. وأَرْض أَرِيضة أي لينة طيبة المقعد. وروضة أَرِيضة: لينة الموطئ، واسعة. والأَرَضة: دويبة بيضاء تشبه النمل تأكل الخشب وتظهر أيام الربيع. وشحمة الأَرْض معروفة والأَرْض: الرعدة. والأَرْض: حافر الدابة، والأَرْض: الزكام. وأُرِضَ فهو مَأْرُوض"[61]. وذكر ابن فارس: أرض: الهمزة والراء والضاد ثلاثة أصول، أصل يتفرع وتكثر مسائله، وأصلان لا ينْقاسانِ بل كلُّ واحدٍ موضوع حيث وضَعتْه، ويقال بفلان أَرْضٌ أي رِعْدَةٌ، قال ذو الرُّمّة:

إذا توجَّسَ رِكْزاً مِن سَنابِكِها أو كان صاحبَ أَرْضٍ *أوبه مُومُ[62]

أمّا الأصل الأوّل فكلُّ شيءٍ يسفلُ ويقابِل السَّماءَ؛ والأرضُ: التي نحنُ عليها، وتجمع أَرَضْين[63]،، أَرْضٌ أَرِيضَةٌ، وذلك إذا كانت ليّنة طيّبة[64]، وذكر ابن منظور: الأَرْض: التي عليها الناس، أُنثى وهي اسم جنس، والجمع آراضٌ وأُرُوض وأَرَضُون، الواو عوض من الهاء المحذوفة المقدرة وفتحوا الراء في الجمع ليدخل الكلمةَ ضَرْبٌ من التكسير، استِيحاشاً من أَن يُوَفِّرُوا لفظ التصحيح ليعلموا أَن أَرضاً مما كان سبيله لو جمع بالتاء أَن تُفتح راؤُه فيقال أَرَضات، ثم قالوا أَرَضُون فجمعوا بالواو والنون والمؤَنث لا يجمع بالواو والنون إلا أَن يكون منقوصاً كثُبة وظُبَة، ولكنهم جعلوا الواو والنون عوضاً من حَذْفهم الأَلف والتاء وتركوا فتحة الراء على حالها، وربما سُكِّنَت، قال: والأَراضي أَيضاً على غير قياس كأَنهم جمعوا آرُضاً، قال ابن سيبويه: يجوز أَن يعني أَهل الأَرض ويجوز أَن يريد علِّلُوا جميع النوع الذي يقبل التعليل؛ وأَرْضُ الإنسان: رُكْبتاه فما بعدهما[65].

وقد ورد ذكرها في سورة هود في قوله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ}**[66]، وقوله تعالى: **{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}**[67].

أمّا المفسّرون، قال السيد مصطفى الخميني: " الأرض: الجرم المقابل للسماء، والصحيح أنَّها الجرم المقابل للسماوي، وفي "الأقرب": كرة مظلمة مركبة من الجواهر المفردة، مؤنثة. جمعها أروض وآراض وأرضون، وأراض جمع واحد متروك، وكل ما سفل فهو أرض، والأرض معناها معلوم، وهي تقابل الشمس والقمر، وأما

جمع الشمس بالشموس والقمر بالأقمار والأرض بالأرضين وغيرها، فهو إما يحكي عن اطلاع القدماء على أن هذه الكواكب ليست منحصرة بالواحدة"[68]، والعرب كانت تحس الكرات السماوية وتبصر بها، فوضعت بحذائها اللغات، بخلاف الأرض فلا تحس إلا جهة السفل، فوضعت حذائها هذه اللفظة، ثم أطلقت على الكرة، بعد القول بأن الأرض كرة من الكرات متحيرة في الفضاء كغيرها. تطلق الأرض ويراد منها أرض البدن وأرض الاجتماع وأرض الأرواح والأشباح وغير ذلك، والأرض: تقابل الأرض والسماء في الكتاب الإلهي وفي سائر الاستعمالات، مع أن السماء ليست من الجواهر والأعيان الخارجية. وأما السماوات فهي جمع السماوي المنتسبة إلى السماء[69]، وقال مرتضى العسكري: "وخلق الله سبحانه السماوات وما فيها وما عليها مّما نعلم من الملائكة ومّما لا نعلم، وما تحتها مّما نعلم من كواكب ونجوم وشموس وأقمار وبروج ومّما لا نعلم، وخلق الأرض وما عليها وما فيها من مياه ونبات ومعادن من مرافق الحياة وما بين السماوات والأرض من غازات وغيرها مّما نعلم ومّما لا نعلم، كلّ ذلك مّما تحتاجه الأصناف الثلاثة، الحيوان، والجنّ، والانس في حياتهم، ثمّ خلق الحيوان قبل خلق صنفي الجنّ والانس لحاجتهما في حياتهما إليه، ثمّ خلق الجانّ قبل الانسان كما أخبر سبحانه في خبر خلق آدم (عليه السلام) أنّه أمر الملائكة – الذين كان إبليس الجنّي منهم – أن يسجدوا لادم بعد خلقه، ثمّ خلق الانسان بعد خلق جميع الأصناف من خلقه[70]. وذكر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: أشار القرآن الكريم بكلمة "السماء" إلى نفس هذه السماء التي يتبادر الذهن إليها تارة، وإلى السمو المعنوي والمقام العلوي تارة أخرى. فمن الممكن حمل معنى السماء هنا على الكناية عن مقام القرب من الله عز وجل، كما نقرأ في الآية العاشرة من سورة فاطر إليه يصعد الحكم الطيب والعمل الصالح يرفعه. وكما هو بين أن كلاً من الحكم الطيب والعمل الصالح ليسا من الأشياء التي يقال عنها ذلك، بل المراد هو الارتفاع إلى مقام القرب الإلهي والتشرف بالسمو والرفعة المعنوية"[71].

وفي قوله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ}**[72]، أي هو ربّ السماوات والارض وكلّ شيء وخالقه. "ويُستخدم التضاد في الخطاب القرآني لدلالات مختلفة، وقد تدلّ ظاهرة التضاد على عدم الانقطاع والدوام كما في التضاد بين "العشيّ و"الإشراق"، مثل قوله تعالى: {إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ}[73]، أي يذكرن الله عز وجل بتواصل واستمرار في الصباح والمساء. وقد ترد ظاهرة التضاد في سياق الكلام فتحدث المقارنة بين النقيضين، ليزيد من الترغيب في أحدهما، والتنفير من الآخر، وذلك من خلال استحضارهما معاً"[74].

فلنتأمل ظاهرة التضاد بين اللفظتين الصالحين والمفسدين وبين لفظتي المتقين والفجّار في قوله تعالى: **{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ}**[75].

فظاهرة التضاد بين الأرض والسماوات كثيراً ما ترد في القرآن الكريم وفي سياقات مختلفة حسب الغرض والحاجة الى المعنى، والتضاد بينهما يبرز الخطاب الكوني الإلهي، لأنَّ الله خالق الإنسان وخالقهما وهو أعلم بما يجري فيهما ومقدر كل شيء فيهما.

5-اللفظتان (الأَعْمَى- الْبَصِيرِ)

إنّ توضيح الحقائق العقلية في علم المعاني والبيان وتجسيمها للناس عامة أن تشبه المعقولات بالمحسوسات دائماً، وهذه الطريقة اتبعها القرآن الكريم بكثرة، وبين الكثير من هذه المسائل ذات الأهمية وعبّر عنها بأمثلة واضحة وجلية، وبيّن الحقائق فيها ووضعها في أحسن الصور، ولبيان هنا (الأعمى والبصير) على سبيل المثال، فقد جسدها القرآن الكريم وهي من أحسن الوسائل في عالم الطبيعة لمعرفة الحقائق الحسية.

*** الأَعْمَى:**

ذكر الخليل: العَمَى: ذهاب البصر، عَمِيَ يَعْمَى عَمًى. ورجل أَعْمَى وامرأة عَمْياء لا يقع على عين واحدة. وعَمِيَت عيناه. وعينان عَمْيَاوَان. وعَمْيَاوَات يعني النساء. ورجال عُمْيٌ. ورجل عَمٍ، وقوم عَمُون من عَمَى القلب، يقال: ما أَعْمَاه، ولا يقال، من عَمَى البصر، والعَمَايَة والعَمَاء: السحاب الكثيف المطبق، والعُمّيَّة: الضلالة، وفي لغة عِمّيَّة. والاعْتِمَاء: الاختيار، قال:

ميل بين الناس أيا يَعْتَمِي[76]

والمَعَامِي: الأرض المجهولة[77]. وذكر الأزهري[78]: يقال عما يَعْمو: إذا خضع وذلّ. ومنه وعَمَاني بكذا رماني، من التُّهمَة. قال الليث: العَمَى: ذهاب البصر من العينين كلتيهما والفعل منه عَمِي يَعْمَى عَمًى. روى سفيان عن ابن جُرَيج عن مجاهد في قوله تعالى: **{قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى وقَدْ كُنْتُ بَصِيراً}**[79]، قال: أعمى عن الحجَّة، وقد كنت بصيراً بها. ورجل عمٍ، وقوم عَمُون. قال: وكلّما ذكر الله جلَّ وعزَّ العَمَى في كتابه فذمَّه يريد عمى القلب. قال الله جلّ وعزّ: **{فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ ولكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}**[80]. وذكر ابن فارس: عمى: العين والميم والحرف المعتل أصلٌ واحد يدلُّ على سَترٍ وتغطية. والعَمَى: ذَهاب البصر من العينين كلتيهما. ورجلٌ أعمى وامرأة عمياء. عَمِيَتْ عيناه. ورجل عَمٍ، إذا كان أعمى القلب؛ والتَّعمِية: أن تعمّيَ على إنسانٍ شيئاً فتَلْبِسَه عليه لَبْساً. وقالوا: أعميت الرّجُلَ إذا وجدتَه أعمى، والعُمّيّة: الضلالة، وكذلك العِمّيَّة. وقتِيل عِمّيًّا، أي لم يُدرَ من قتَلَه. والعَمَاية: الغَوَاية، وهى اللَّجاجة. والعَمَاء: السَّحاب الكثيف المُطْبق، والقِطعة منه عَمَاءة. وعَماءٍ، أي مُظلم[81].

*** الْبَصِيرِ:**

قال الخليل: البَصَر: العين، مذكر، والبَصَر: نَفاذ في القلب. والبَصَارة مصدر البَصِير، وقد بَصُرَ، وأَبْصَرْتُ الشيء وتَبَصَّرْتُ به، وتَبَصَّرْتُهُ: شِبْه رَمَقْتُهُ. واسْتَبْصَرَ في أمره ودينه إذا كان ذا بَصِيرة. والبَصِيرة اسم لما اعتقد في القلب من الدين وحقيق الأمر. ويقال: رأى فلان لمحا باصِرا أي أمرا مُفْزِعا، قال:

دون ذاك الأمر لمح باصِر[82]

وبَصَّرَ الجر وتَبْصِيرا: فتح عينه. والبَصِيرة: الدرع[83]. وقال ابن فارس: "بصر: الباء والصاد والراء أصلان: أحدهما العِلْمُ بالشيء؛ يقال هو بَصِيرٌ به. ومن هذه البَصيرةُ، والقِطعةُ من الدَّمِ إذا وقعَتْ بالأرض استدارت. قال الأسْعر:

راحُوا بَصَائِرُهُمْ على أكتَافِهِمْ وبَصيرتى يَعْدُو بها عَتَدٌ وَأَى[84]

والبَصيرة التُّرْس فيما يُقال، والبَصيرَةُ البُرْهان، وأصل ذلك كلِّه وُضُوحُ الشيء، ويقال رَأَيْتُه لَمْحاً باصراً، أى ناظراً بتحديقٍ شديد، ويقال بَصُرْتُ بالشيءِ إذا صِرْتَ به بصيراً عالماً، وأبْصَرْتُه إذا رأيتَهَ"[85]، وذكر ابن منظور: الْبَصِيرُ من أَسماء الله تعالى، والبَصَرُ العَيْنُ إِلَّا أَنه مذكر، وقيل البَصَرُ حاسة الرؤْية، وأَبْصَرْتُ الشيءَ رأَيته، ورجل بَصِيرٌ مُبْصِرٌ خلاف الضرير، وأَبْصَرَ الرجلُ إِذا خرج من الكفر إِلى بصيرة الإِيمان والبَصِيرَةُ عَقِيدَةُ القلب، والبصيرة العِبْرَةُ؛ والبَصَرُ العلم، وبَصُرْتُ بالشيء علمته، والبصير العالم، والتَّبَصُّر التَّأَمُّل والتَّعَرُّفُ، والتَّبْصِيرُ التعريف والإِيضاح، ورجلٌ بَصِيرٌ بالعلم عالم به، والبصير خير من الأَعمى، واستبصر في أَمره ودينه إِذا كان ذا بَصيرة، والبَصيرة الثبات في الدين[86].

وقد ورد ذكرها في سورة هود في قوله تعالى: **{مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ}**[87].

أمّا المفسّرون، فقد قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: "أن حال منكري الوحي، بسبب لجاجتهم وعدائهم للحق ووقوعهم أسرى بمخالب التعصب والأنانية وعبادة الذات، فقدوا بصرهم وسمعهم للحقيقة البينة، فلا يستطيعون ادراك الحقائق المرتبطة بعالم الغيب، وتأثير الإيمان، والتلذذ بعبادة الله، وعظمة التسليم لأمره. هؤلاء الأفراد يعيشون أبداً عمياناً صماً في ظلام مطبق وسكوت مميت... في حين أنَّ المؤمنين الصادقين يرون كل حركة بأعين بصيرة، ويسمعون كل صوت بآذان سميعة، وبالتوجه إلى طريقهم يكون مصيرهم " السعادة"[88]. وقال الشيخ الطوسي: "أن الموصوف أحدهما بالصمم والعمى، والآخر بالبصر والسمع، وفائدة الآية تشبيه المؤمن والكافر في تباعد ما بينهما فشبههما، بالأعمى والبصير، والأصم والسميع، فالكافر كالأعمى والأصم في أنه لا يبصر طريق الرشد، ولا يسمع الحق، وأنه مع ذلك على صفة النقص. والصمم عبارة عن فساد آلة السمع، ولو كان معنى يضاد السمع لتعاقبا على الحي، والأمر بخلافه، لأنهّ قد ينتفي حال الصمم ولا يكون سامعاً، وكذلك العمى عبارة عن فساد آلة الرؤية، وليس بمعنى يضاد الإبصار"[89]. "لأن الصحيح أن الإدراك أيضاً ليس بمعنى، ولوكان معنى لما وجب أن يكون العمى ضده. لأنهّ لوكان ضده لعاقبه على حال الحي وكان يجوز أن يحضر المرئي من الأجسام الكثيفة من غير ساتر فلا يرى مع حصول شروط الادراك لأجل وجود الضد، وكذلك الصمم، ولا ضد له لأنه ليس هناك حال يعاقبه على حال مخصوصة كمعاقبة العجز القدرة

على حال الحياة"[90]، وقال الشيخ الطبرسي: "مثل فريق المسلمين كالبصير والسميع، ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم، لأنّ المؤمن ينتفع بحواسه لاستعماله إياها في الدين، والكافر لا ينتفع بها، فصارت حواسه بمنزلة المعدوم، وإنّما دخل الواو ليبين أن حال الكافر كحال الأعمى على حدة، وكحال الأصم على حدة، وحال من يكون قد جمع بين الصفتين جميعاً {هل يستويان مثلا} أي هل يستوي حال الأعمى الأصم، وحال البصير السميع، عند عاقل ؟ فكما لا تستوي هاتان الحالتان عند العقلاء، كذلك لا تستوي حال الكافر والمؤمن {أفلا تذكرون} أي: أفلا تتفكرون في ذلك فتسلموا صحة ما ذكرناه"[91].

فالتضاد بين (الأعمى والبصير) كان لبيان الذي اهتدى من الذي أضل السبيل، وهما لا يستويان منزلة عند الله تعالى، والتعبير بهما جاء مجازاً لبيان حقيقة المهتدي الذي يرى حقيقة الضال الذي فقد البصر فإنهَّ يعيش في الظلمات بعيداً عن منابع الهدى.

6- اللفظتان (ابْلَعِي - أَقْلِعِي)

ما اروع التعابير القرآنية وخصوصاً التي وردت في الآية التي سوف نتطرق لها حيث كانت تحتوي على لفظتي (ابْلَعِي وأَقْلِعِي) وهي في نفس الوقت وجيزة ومفعمة بالجمال والحياة، وتعد في غاية الفصاحة والبلاغة على الرغم من انَّ آيات القرآن الكريم جميعها في غاية الفصاحة والبلاغة والجمال.

*** ابْلَعِي:**

قال الخليل: "بَلِعَ الماء يَبْلَعُ بَلْعاً، أي شرب. وابْتَلَعَ الطعام، أي: لم يمضغه. والبُلَعَة من قامة البكرة سمها وثقبها، ويجمع على بُلَع. والبَالُوعَة والبَلُّوعَة: بئر يضيق رأسها لماء المطر. والمَبْلَع: موضع الابْتِلَاع من الحلق. قال[92]:

تأمّلوا خيشومه والمَبْلَعَا

والبُلَعَة والزُّرَدَة: الإنسان الأكول. ورجل مُتَبَلِّع إذا كان أكولاً. وسعد بُلَعَ: نجم يجعلونه معرفة. ورجل بَلْعٌ، أي: كأنَّه يَبْتَلِع الكلام"[93]. وقال الأزهري: أبو عبيد عن الكسائيّ: بَلِعت الطعام أبلَعه بَلْعاً وسَرِطته سَرْطاً إذا ابتلعته. وقال الليث: يقال: بَلِع الماء بلعاً إذا شرِبه. قال: وابتلاع الطعام: ألّا يَمْضُغه. والبالوعة والبَلُّوعة- لغتان- بئر تُحفر ويضيّق رأسها، يجري فيها ماء المطر. و(بالوعة) لغة أهل البصرة. والمَبْلَع: موضع الابتلاع من الحَلْق. ورجل بُلَع ومِبْلع وبُلَعة إذا كان كثير الأكل. وقال ابن الأعرابي: البوْلع: الكثير الأكل[94]. وقال ابن فارس: "بلع: الباء واللام والعين أصلٌ واحد، وهو ازدراد الشيء. تقول: لمِعْتُ الشيءَ أبْلَعُه. والبالوع[95] من هذا لأنه يَبْلَعُ الماء. وسَعْدُ بُلَعَ نجمٌ. والبُلَعُ السَّمّ في قَامَة البَكْرَة والقياس واحدٌ، لأنَّه يَبْلَعُ الخشبة التي تسلكه. فأمّا قولهم بَلَّعَ الشَّيبُ في رأسه فقريبُ القياسِ من هذا؛ لأنَّه إذا شَمِل رأسَه فكأنَّه قد بَلِعَه"[96].

*** أَقْلِعِي:**

ذكر الخليل: قلع: قَلَعْتُ الشجرة واقتَلَعْتُها فانقَلَعَت. ورجل قَلْعٌ: لا يثبت على السرج. وقد قَلِعَ قَلْعا وقُلْعة. والمقلوع: الأمير المعزول والقَلْعَة من الحصون، والقَلَعة: القطعة من السحاب. وأَقْلَعَت السماء: كفت عن

المطر. وأَقْلَعَت الحمى: فترت فانقطعت. والقَلَعَة: صخرة ضخمة تنقلع عن جبل، والقُلاع: الطين الذي يتشقق إذا نضب عنه الماء. وأَقْلَعَ فلان عن فلان أي كف عنه[97]. وذكر ابن فارس: قلع: القاف واللام والعين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على انتزاعِ شيء من شيء، تم يفرَّع منه ما يقاربُه. تقول: قَلَعْتُ الشّيءَ قَلْعاً، فأنا قالعٌ وهو مقلوع. والمقلوع: الأمير المعزول. والقَلَعة: صخرةٌ تتقلَّع عن جبلٍ والقُلَاع: الطِّين يتشقَّقُ إذا نَضَب عنه الماء. وأقلَعَ عن الأمر، إذا كَفَّ. ورماهُ بقُلَاعة، إذا اقتَلَع قطعةً من الأرض فرماه بها. والقِلْع: شِراع السَّفينة، وذلك لأنّه إذا رُفِعَ قَلَعَ السّفينةَ من مكانها[98].وذكر ابن منظور: القلعُ: انْتِزاعُ الشيء من أَصله، قَلَعَه يَقْلَعه قَلْعاً وقَلَّعَه واقْتَلَعَه وانْقَلَعَ واقْتَلَعَ وتَقَلَّعَ. والقُلاعُ أَيضاً: الطين اليابس، والقَلْعَةُ: الحِصْنُ الممتنع في جبل، والقَلْعة، بسكون اللام: النخلة التي تُجْتَثُّ من أَصلها قَلْعاً أَوقَطعاً؛ والتَّقَلُّعُ من الأَرض قريب بعضه من بعض، والقَلَعُ: قِطَعٌ من السَّحاب كأَنها الجبالُ، وقيل: القَلَعةُ من السّحابِ التي تأْخذ جانب السماء، والقِلْعُ: شِراعُ السَّفِينةِ، والإِقْلاعُ عن الأَمر: الكَفُّ عنه. يقال: أَقْلَعَ فلان عما كان عليه أَي كفَّ عنه. وأَقْلَع الشيءُ: انْجَلَى، وأَقْلَعَ السحابُ كذلك. وفي التنزيل: ويا سَماءُ أَقْلِعِي؛ أَي أَمْسِكي عن المطر[99].

وقد ورد ذكرها في سورة هود في قوله تعالى: **{وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[100]**.

أمّا المفسّرون، فقد قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: "طافت السفينة نقاطاً متعددة من الأرض، وطبقاً لما جاء في بعض الروايات أنها سارت على أرض مكة وحول الكعبة. وأخيرا صدر الأمر الإلهي بانتهاء العقاب وأن ترجع الأرض إلى حالتها الطبيعية، والآية – محل البحث – تبين هذا الأمر وجزئياته ونتيجته في عبارات وجيزة جداً، وفي الوقت ذاته بليغة وأخاذة، وقيل يا أرض ابلعي ماءك صدر الأمر للأرض أن تبلع الماء، ويا سماء اقلعي وصدر الأمر للسماء أن لا تمطري"[101]. وقال الشيخ الطوسي: "حكى الله تعالى في هذه الآية قصة نوح وقومه بأوجز لفظ وأبلغه، وبلوغ الغاية التي لا تدانيها بلاغة ولا تقاربها فصاحة، لان قوله: {وقيل يا أرض ابلعي ماءك} أخبار منه عن إذهاب الماء عن وجه الأرض في أوجز مدة فجرى ذلك مجرى أن قال لها: ابلعي فبلعت، والبلع في اللغة انتزاع الشيء من الحلق إلى الجوف، فكانت الأرض تبلع الماء هكذا حتى صار في بطنها الغراء، يقال: بلعت وبلعت بفتح اللام وكسرها"[102]. وقوله: **{ويا سماء أَقْلِعِي}** اخبار أيضا عن اقشاع السحاب، وقطع المطر في أسرع وقت، فكأنه قال لها: اقلعي، فأقلعت، والإقلاع: إذهاب الشيء من أصله حتى لا يبقى منه شئ. وأقلع عن الأمر إذا تركه رأسا[103]. وقال العلامة المصطفوي: "(ابْلَعِي): أي اجذبي إليك، والفرق بين الجذب والبلع والجرع والسرط والزرد: أنّ الجذب مدّك الشيء إليك، وهو أعمّ من أن يكون الجذب إلى جانبك أو إلى الداخل، والجرع: شربك على قلّة قلّة. والسرط

والزرد بينهما اشتقاق أكبر، أي البلع بالتدريج كما في الأكل. والبلع: هو ازدراد في مرتبة واحدة ودفعة، وبهذا يظهر السّر في انتخاب كلمة {ابْلَعِي} في الآية الكريمة"[104].

{أَقْلِعِي}: أي انزعي واجذبي ماءكِ الَّذى نزل منك إلى الأرض بأيّ وسيلة جاذبة بتبخير أو غيره حتّى لا يبقى من ذلك الماء شيء في الأرض. وليس بمعنى الإمساك كما يقال في التفاسير، وفي هذا التعبير لطف وإشارة إلى أنّ الله تعالى كما أنّه قادر على إنزال الماء من السماء: قادر على قلعه وجذبه إليها[105].

فالتضاد بين (ابلعي وأقلعي) جسد حقيقة القدرة الالهية وأنَّ كل ما خلقه الله سبحانه وتعالى واقع تحت قدرته وأمره فقد أمر الأرض أن تبلع الماء بعد الطوفان والسماء أن تقلع عن المطر فامتثلا لأمره تعالى، وهذا الأمر يجسد حقيقة نهاية الطوفان بإيجاز شديد وحقيقة امتثال السماء والأرض لأمره تعالى.

7- **اللفظتان (ضَعِيف - عَزِيزٍ)**

***ضَعِيف:**

ذكر الخليل: الضُّعْف خلاف القوة، ويقال: الضَّعْف في العقل والرأي، والضُّعْف في الجسد، ويقال كلما فتحت بالكلام فتحت بالضَّعْف، تقول رأيت به ضَعْفاً، وإنَّ به ضَعْفاً، ورجل ضَعِيف، وقوم ضُعَفاء ونسوة ضعيفات، وضَعَائف، وأنشد القائل:[106]

أ يا نفس قد فرطت وهي قريبة وأبليت ما تبلي النفوس الضعائف

وتقول أَضْعَفْته إضعافاً، أي صيرته ضَعِيفاً، واسْتَضْعَفْته وجدته ضعيفاً فركبته بسوء[107].

وذكر الأزهري: قال تعالى: **{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ}**[108]، وقال الليث: يقال ضعف الرجل يضعف ضَعفاً وضُعفاً، وهو خلاف القُوّة قال: ومنهم من يقول: الضَّعف في العقل والرأي، والضُّعف في الجسد. والضعف ضَعف البدن وضَعف الرأي. ويقال أضعفت فلاناً: أي وجدته ضعيفاً؛ وضعّفته، أي صيّرته ضعيفاً، قال أبو عمرو: أضعاف الجسد: عِظامه، الواحد ضِعف قال: ويقال أضعاف الجسد: أعضاؤه ويقال فلانٌ ضعيف، فالضّعيف في بدنه[109]. وقال ابن فارس: ضعف: الضاد والعين والفاء أصلانِ متباينان، يدل أحدُهما على خلاف القُوَّة، ويدلُّ الآخَر على أن يزاد الشَّيءُ مِثلَه. فالأوَّل: الضَّعف والضُّعف، وهو خلاف القُوَّة. يقال ضَعُفَ يضعُف، ورجلٌ ضعيف وقوم ضُعفاءُ وضِعافٌ. وأمَّا الأصل الآخَر فقال الخليل: أضعفت الشّيءَ إضعافاً، وضعَّفتُه تضعيفاً، وضاعفْتُه مُضاعَفة، وهو أن يُزادَ على أصل الشَّيء فيُجعلَ مثلين أو أكثر[110].

***عَزِيزٍ:**

ذكر الخليل: العِزَّة لله تبارك وتعالى، والله العَزِيز يُعِزُّ من يشاء ويذل من يشاء. من اعْتَزَّ بالله أَعَزَّه الله ويقال: عَزَّ الشيء، جامع لكل شيء، يَعِزُّ عِزَّة، وهو عَزِيز بيّن العَزَازة، وملك أَعَزُّ أي عزيز، والعَزَّاءُ: السنة الشديدة، وقيل: هي الشدة. وعَزَّ الرجل: بلغ حد العِزَّة ويقال: إذا عَزَّ أخوك فهن. واعتَزَّ بفلان: تشرف به والمُعَازَّةُ: المغالبة في العِزّ. وقوله تعالى: **{وعَزَّنِي فِي الْخِطابِ}**[111]، أي غلبني، والمطر يُعَزِّزُ الأرض تَعْزيزا إذا لبدها[112]. وقال الأزهري: الْعَزِيزُ * من صفات اللَّه جلّ وعزّ وأسمائه الحسنى. وقال أبو إسحاق بن السريّ: الْعَزِيزُ * في صفة اللَّه تعالى: الممتنع، فلا يغلبه شيء. وقال غيره: هو القويّ الغالب على كلّ شيء،

وقيل: هو الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. ويقال عزّ الرجل يعِزّ عِزًّا وعِزّة إذا قوىَ بعد ذلّة. وعززت عليه أعِزّ عِزًّا وعَزَازة، وقال: وأعززتُ الرجل: جعلتُه عزيزاً. وأعززته: أكرمته وأحببته. وقول الله عزّ وجلّ: **{لَيُخْرِجَنَ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَ}**[113]، وقرئ: **{لَيَخرُجَنَ الأعز منها الأذل}**، أي ليخرجن العزيز منها ذليلا، فأدخل الألف واللام على الحال. وقال: جلّ وعزّ: **{فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ}**[114]، يقول: يتذللون للمؤمنين وإن كانوا أعزة، ويتعززون على الكافرين وإن كانوا في شرف الأحساب دونهم. واستُعِزَّ بفلان، أي غُلِب، والعِزُّ: المطر الشديد الوابل. قال: والعَزَّاء: الشدّة. والأعزُّ بمعنى العزيز، والعُزَّى بمعنى العزيزة[115]. وقال ابن منظور: الْعَزِيزُ: من صفات الله عز وجل وأَسمائه الحسنى؛ قال الزجاج: هو الممتنع فلا يغلبه شيء، وقال غيره: هو القوي الغالب كل شيء، وقيل: هو الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. ومن أَسمائه عز وجل المُعِزُّ، وهو الذي يَهَبُ العِزَّ لمن يشاء من عباده. والعِزُّ: خلاف الذُّلِّ. والعِزُّ في الأَصل: القوة والشدة والغلبة. والعِزُّ والعِزَّة: الرفعة والامتناع، والعِزَّة لله؛ وأَعَزَّ الرجلَ: جعله عَزِيزاً. ورجل عزِيزٌ: مَنِيع لا يُغْلب ولا يُقْهر. وتَعَزَّزَ الرجلُ: صار عَزِيزاً. وتَعَزَّزَ: تشرَّف. وعَزَّ الشيءُ يَعِزُّ عِزّاً وعِزَّةً وعَزازَةً وهو عَزِيز: قَلَّ حتى كاد لا يوجد[116].

وقد ورد ذكرها في سورة هود في قوله تعالى: **{قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ}**[117].

أمّا المفسّرون، فقد ذكر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: أنهم قالوا: يا شعيب فكلامك أساسا ليس فيه أول ولا آخر، وقولهم {وإنا لنراك فينا ضعيفاً} فإذا كنت تتصور أنك تستطيع إثبات كلماتك غير المنطقية بالقدرة والقوة فأنت غارق في الوهم، ولا تظن أننا نتردد في القضاء عليك بأبشع صورة خوفاً منك ومن بأسك، ولكن احترامنا لعشيرتك هو الذي يمنعنا من ذلك، {وما أنت علينا بعزيز} فمهما كانت منزلتك في عشيرتك، ومهما كنت كبيراً في قبيلتك إلاّ أنهَّ لا منزلة لك عندنا لسلوكك المخالف والمرفوض[118]. وذكر الشيخ الطوسي: وقوله {وإناّ لنراك فينا ضعيفاً} قيل في معناه أربعة أقوال: قال الحسن: معناه مهيناً، وقال سفيان: معناه ضعيف البصر، وقال سعيد بن جبير وقتادة: كان أعمى. قال الزجاج ويسمى الأعمى بلغة حمير ضعيفاً. وقال الجبائي معناه: ضعيف البدن، وقوله {وما أنت علينا بعزيز} أي علينا لست بممتنع، فلا نقدر عليك بالرجم، ولا أنت بكريم علينا، وإنما تمتنع لمكان عشيرتك. وعشيرته كانوا على دينه[119]. وقال السيد الطباطبائي: "{وإنا لنراك فينا ضعيفا} أي لا نفهم ما تقول ولست قويا فينا حتى تضطرنا قوتك على الاجتهاد في فهم كلامك والاهتمام بأخذه، والسمع والقبول له؛ فإنا لا نراك فينا إلا ضعيفا لا يعبأ بأمره ولا يلتفت إلى قوله. وإنما كففنا عن قتلك ورجمك احتراماً وتكريماً منا لعشيرتك"[120]. فمحصل قولهم إهانة شعيب وأنهم لا

يعبؤن به ولا بما قال، وإنما يراعون في ترك التعرض له جانب رهطه، قوله تعالى: **{قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا}**[121]، الظهري نسبة إلى الظهر بفتح الظاء المعجمة وإنما غير بالنسب وهو الشيء الذي وراء الظهر فيترك نسياً منسيا يقال: اتخذه وراءه ظهرياً أي نسيه ولم يذكره ولم يعتن به. وهذا نقض من شعيب لقولهم: **{وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ}** أي كيف تعززون رهطي وتحترمون جانبهم، ولا تعززون الله سبحانه ولا تحترمون جانبه وإني انا الذي أدعوكم إليه من جانبه[122].

تكرر ادعاء قوم شعيب بأن شعيباً رجلاً ضعيفاً فيهم ولا يقدر على البوح بعقيدته، تم بسبب هذا الاستهانة بمنزلته بينهم فهم لا حاجة لهم به، وهو ليس عزيزاً أولاً ذا أهمية بالنسبة لهم. لذا يبين هذا التضاد منزلة شعيب عند قومه الكافرين بأنه ضعيفٌ وليس له مكانة تعزه بينهم.

8-اللفظتان (شَقِيٌّ – سَعِيدٌ)

*** شَقِيٌّ:**

قال الخليل: "يقال: شَقِيَ شَقَاءً وشِقْوَةً. والشَّقْوُ: تأسيس أصل الشَّقَاءِ والشِّقْوَةِ، كل قد قيل، وإنما صار ياء في شَقِيَ بالكسرة، وهما يَشْقَيَانِ، وهو في الأصل واو، وتظهر في الشَّقَاوَةِ، وتضمر في الشِّقَاءِ مدة لاحقة بالألف (كذا)، لأن الياء والواو إنما يظهران في الأسماء الممدودة. "والشَّاقِي من حيود الجبال""[123]. وقال ابن فارس: "شقو الشين والقاف والحرف المعتلّ أصلٌ يدلُّ على المعاناة وخلاف السُّهولة والسّعادة. والشِّقوة: خلاف السعادة. ورجلٌ شقيٌ بين الشَّقاء والشِّقوة والشَّقاوة. ويقال إنَ المشاقاة: المعاناة والممارسة. والأصل فى ذلك أنَّه يتكلّف العَناء ويَشقَي به، فإذا هُمِزَ تغيَّر المعنى. تقول: شقأ نابُ البعير يَشْقَأ، إذا بدا"[124]. وقال ابن منظور: "شقا: الشَّقاءُ والشَّقَاوَةُ، بالفتح: ضدُّ السعادة، يُمَدُّ ويُقْصَرُ، شَقِيَ يَشْقَى شَقاً وشَقاءً وشَقَاوةً وشَقْوةً وشِقْوَةً، وتقول: شَقِيَ الرجلُ، وقولُ الزجاج. وشَاقَاهُ ف شَقَاهُ: كان أَشَدَّ شَقَاءً منه. ويقال: شَاقَانِي فلان فشَقَوْته أَشْقُوه أَي غَلَبْته فيه. وأَشْقَاه اللهُ، فهو شَقِيٌ بيِّنُ الشِّقْوَة، بالكسر، وفتحُه لغة. وفي الحديث: (الشَّقِيُ مَنْ شَقِيَ في بطْنِ أُمِّه). والشَّقَاءُ: الشِّدةُ والعُسْرةُ. ويقال: شَاقَيْتُ ذلك الأَمر بمعنى عانيْتُه"[125]، وقال الفيروزآبادي: "الشَّقا: الشِّدَّةُ، والعُسْرُ، ويُمَدُّ، شَقِيَ، كَرَضِيَ، شَقَاوَةً، ويُكْسَرُ، وشَقاً وشَقاءً وشَقْوَةً، ويُكْسَرُ. وشَقاهُ اللّهُ وأَشْقاهُ"[126].

*** سَعِيدٌ:**

قال الخليل: "السَّعْد: نقيض النحس في الأشياء يوم سَعْدٍ ويوم نحس، وسَعِدَ فلان يَسْعَد سَعْدا وسَعادة فهو سَعِيد ويجمع سُعداء، نقيض أشقياء وتقول: أَسْعَدَه الله وأَسْعَدَ جده. وإذا كان اسما لا نعتا فجمعه سَعِيدونَ لا سُعَداء. وسَعِيدُ الأرض النهر الذي يسقيها... والمَسْعُود: السَّعِيد. وساعَدْتُهُ فَسَعَدْتُه فهو مَسْعُود، أي: صرت في المساعَدَة أسعد منه وأعون"[127]. وذكر الأزهري: ومعنى سَعَده الله وأسعده أي أعانه ووفَّقه. وعن أبي طالب النحويّ أنه قال: معنى قولك لبَّيك وسعديك أي أسعدني الله إسعاداً بعد إسعاد. وإذا قيل: أسعد الله العبدَ وسَعَده فمعناه: وفَّقه الله لما يرضيه عنه فيَسْعد بذلك سعادة. والسَّعْد ضدّ النَحْس، يقال: يوم سَعْد ويومُ نَحْسٍ. والسُّعُود مصدر كالسعادة يقال سعِدَ سْعد سَعْد أو سعادة فهو سعيد، نقيض شقِي. وجمعه

السعَداء. ويجوز أن يكون من سَعِد يَسْعَد فهو سعيد[128]، وقال الراغب الأصفهاني: "السَّعْدُ والسَّعَادَةُ: معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير، ويضادّه الشّقاوة، يقال: سَعِدَ وأَسْعَدَهُ الله، ورجل سَعِيدٌ، وقوم سُعَدَاءُ، وأعظم السّعادات الجنّة، فلذلك قال تعالى: **{وأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ}**[129]، وقال: **{فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وسَعِيدٌ}**[130]، والْمُسَاعَدَةُ: المعاونة فيما يظنّ به سَعَادَةً. وقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ»[131].معناه: أسعدك الله إسعادا بعد إسعاد، أو سَاعَدَكُمْ مُسَاعَدَةً بعد مساعدة، والأوّل أولى. والْإِسْعَادُ في البكاء خاصّة، وقد اسْتَسْعَدْتُهُ فَأَسْعَدَنِي"[132].

وقد ورد ذكرها في سورة هود في قوله تعالى: **{يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ}**[133].

أمّا المفسّرون، فقد قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: {فمنهم شقي وسعيد}، "و" السعيد " مشتق من مادة " السعادة " ومعناها توفر أسباب النعمة. و" الشقي " مشتق من مادة " الشقاء " ومعناه توفر أسباب البلاء والمحنة. فالسعداء – إذا – هم الصالحون الذين يتمتعون بأنواع النعم في الجنة والأشقياء هم المسيئون الذين هم يتقلبون في أنواع العذاب والعقاب في جهنم. وليس هذا الشقاء – على كل حال – وتلك السعادة سوى نتيجة الأعمال والأقوال والنيات التي سلفت من الإنسان في الدنيا"[134]. فليس المقصود بالأشقياء الكفارَ المستحقين للخلود في النار فقط بل قد يوجد بينهم مؤمنون من أهل الكبائر يدخلون النار أولا ليتطهروا من الذنوب، ثم يلتحقون بصفوف أهل الجنة[135]، وقال الشيخ الطوسي: "وقوله {فمنهم شقي وسعيد} اخبار منه تعالى بأنهم ينقسمون قسمين منهم الأشقياء، وهم المستحقون للعقاب، ومنهم السعداء وهم المستحقون للثواب. والشقاء قوة أسباب البلاء، والشقي من شقي بسوء عمله في معاصي الله، والسعيد من سعد بحسن عمله في طاعة الله"[136]، وذكر العلامة المصطفوي: إمّا شقيّ وهو في حالة الشدّة والعناء، فهو بمقتضى تلك الشدّة والكلفة يكون له زفير وشهيق وهو في النار. وإمّا سعيد وهو في حالة الشوق إلى اللقاء والعلاقة بالروحانيّات، فهو بمقتضى تلك الحالة الفعليّة له مستقرّ في الجنّة. فظهر أنّ السعادة لها ثلاث مراحل، الأولى: السعادة الفطريّة الذاتيّة بحسب اقتضاء الأسباب والعلل، والثانية: السعادة المكتسبة بالأعمال والعبادات والطاعات، والعمل الصالح، والثالثة: السعادة الفعليّة المتحصّلة من المرحلتين الذاتيّة والمكتسبة وهي المتظاهرة في الآخرة، وهي مبنى الثواب والعقاب[137]، "ويراد في الآية الكريمة الشقاوة والسعادة الفعليّين، وأمّا التعبير في {سعدوا} بصيغة المجهول: إشارة إلى أنّ السعادة كان من الله المتعال وبتأييده وتوفيقه كما في المرحلتين الأوليين، وهذا بخلاف الشقاوة فانّه بسوء الاختيار وفي نتيجة سوء العمل. وأمّا تقديم الشقاء: فانّ المقام لبيان أحوال المشركين والظالمين"[138]، وقال محمد جواد مغنية: "كما هو الشأن في الكثير من محاكم الدنيا {فَمِنْهُمْ

شَقِيٌّ وسَعِيدٌ} وشقاوة الإنسان غداً أو سعادته انما تكون بعمله في الدنيا، لا بقضاء الله وقدره، أما خبر « الشقي شقي في بطن أمه، والسعيد سعيد في بطن أمه » فمشكوك فيه، وظاهره يناقض عدل الله ورحمته"[139].

ويختصر الطِّباق في هذه الآية جزاء الإنسان ومقام خاتمته فالسعادة والشقاء مقصوران على عمل الإنسان وفعله، وأفاد هنا الطِّباق بين اللفظتين (شقي، سعيد) واقع ما سيحصل يوم القيامة من محاسبة الناس، فمنهم من يسعد بسبب أعماله الصالحة ومنهم من سيكون شقياً بسبب أعماله السيئة – فالطِّباق أوجز المعنى وبيّن مصير كلّ فئة.

9- اللفظتان (زَفِيرٌ – شَهِيقٌ)

*** زَفِيرٌ:**

قال الخليل: "زفر: الزُّفَرُ: الزَّفِيرُ، والفعل: يَزْفِرُ، وهو أن يملأ صدره غما ثم يَزْفِرَ به، والشهيق مد النفس، ثم يَزْفِرُ، أي: يرمي به ويخرجه من صدره"[140]. وقال الأزهري: "قال اللّيث: الزَّفْر والزَّفير: أن يَملأ الرجلُ صَدرَه غَمّا ثم يَزْفِرُ به. والشَّهِيق: مَدُّ النَّفَس ثم يَرْمِي به. وقال الفرّاء في قول الله تعالى: **{لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وشَهِيقٌ}**[141]، الزَّفير: أوّل نَهِيق الحمار وشبهِه، والشَّهِيقُ آخرُه. وقال الزّجاج: الزَّفِير من شَديد الأَنين وقَبيحِه. والشَّهِيق: الأنينُ الشديدُ المرتفع جدّا. وقال اللّيث: المزفورُ من الدّوابُ"[142]، وقال الراغب الأصفهاني: "قال تعالى في محكم كتابه: **{لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ}**[143]، فَالزَّفِيرُ: تردّد النّفس حتى تنتفخ الضّلوع منه، وازْدَفَرَ فلان كذا: إذا تحمّله بمشقّة، فتردّد فيه نفسه، وقيل للإماء الحاملات للماء: زَوَافِرُ "[144]. وذكر ابن منظور: الزَّفْرُ والزَّفِيرُ: أَن يملأَ الرجل صدره غمّاً ثم هو يَزْفِرُ به. ابن سيدة: زَفَرَ يَزْفِرُ زَفْراً وزَفِيراً أَخرج نَفَسَه بعد مَدِّه، وإِزْفِيرٌ إِفْعِيلٌ منه. والزَّفْرَةُ والزُّفْرَةُ: التَّنَفُّسُ. الليث: وفي التنزيل العزيز: {لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وشَهِيقٌ}؛ الزفير: أَول نَهيق الحمار وشِبْهِهِ، وآخِرُه، لأَن الزفير إِدخال النفس وقال الزجاج: الزَّفْرُ من شِدّةِ الأَنِينِ وقبيحه، والزَّفِير اغْتِراقُ النَّفَسِ للشِّدَّةِ[145].

*** شَهِيقٌ:**

قال الخليل: "الشَّهِيق ضد الزفير، فالشَّهِيق رد النَّفَس، والزفير إخراجه. شَهَقَ يَشْهَقُ ويَشْهِقُ شَهِيقا- لغتان- وجبل شاهِق: ممتنع طولا، ويجمع: شَوَاهِق، وهو يَشْهَقُ شُهُوقا"[146]. وقال ابن دريد "والشُّهاق والشَّهيق: تردُّد البكاء في الصدر؛ شَهِقَ يشهَق وشَهَقَ يشهِق شهيقاً وشُهاقاً. وجبل شاهق: عالٍ مرتفع، وكل ما رفعته من بناء وغيره فهو شاهق"[147]. وذكر الأزهري: قال الليث: الشهيق: ضِدُّ الزفير، فالشهيق: رَدُّ النفس، والزفير: إخراج النّفَس. قال: ويقول: شهَق يشهَق ويشهِق شهيقاً. وبعضهم يقول: شُهُوقاً. وقال أبو إسحاق الزّجّاج: الزَّفير والشهيق: من أصوات المكْرُوبين، قال والزفير من شِدَّة الأنين وقبيحِه. والشهيق: الأنين الشديد المرتفع جدًّا. والزَّفير في الحَلْقِ، والشهيقُ في الصَّدْرِ. وقال ابن السّكّيت: كُلُّ شيء ارْتَفَع وطال فقد شَهَق؛ ومنه يقال: شهَق يشهَق: إذا تنفَّس نفساً عالياً[148]. وذكر ابن فارس: شهق: الشين والهاء والقاف أصلٌ واحد يدلُّ على علوّ. من ذلك جبلٌ شاهِق، أى عال. ثمّ اشتُقَّ من ذلك الشَّهيق: ضدّ الزَّفير؛ لأنّ الشَّهيق ردُّ النّفَس، والزّفير إخراج النّفَس وقال بعضهم: فلان ذو شاهقٍ، إذا اشتدَّ غضبُه. ولعلَّه أن* يكون مع ذلك صوت[149].

وقال ابن منظور: "الشَّهِيقُ: أَقبحُ الأَصوات، شَهِقَ وشَهَقَ يَشْهَقُ ويَشْهِقُ شَهِيقاً وشُهاقاً، وبعضهم يقول شُهوقاً: ردَّد البكاء في صدره. الجوهري: شهق يشهق ارتفع. وشَهِيقُ الحمار: آخر صوته، وزفيره أوَّله، وقيل: شَهِيقُ الحمار نَهيقه. ويقال: الشَّهِيق ردُّ النفَس والزَّفِيرُ إخراجه"[150].

وقد ورد ذكرها في سورة هود في قوله تعالى: **{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ}**[151].

أمّا المفسّرون، فقد قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: "الزفير في الأصل يعني الصراخ المقترن بإخراج النفس. وقال بعضهم: إن صوت الحمار وصراخه المنكسر يسمى في البداية زفيراً، وفي آخره شهيقاً هنا إشارة إلى الصراخ أو الضجيج المنبعث من الحزن وشدة الكرب"[152]. كما يحتمل أنَّ هذا الزفير أو الأنين المؤلم لا يكون مقتصرا على العباد فحسب، بل إن معبوداتهم من الشياطين أيضاً يصطرخون معهم، وقال بعضهم: إنَّ المراد هو أن هؤلاء يوضعون في توابيت من نار بحيث لا يسمعون صوت أي أحد أبداً، فكأنهم لوحدهم في العذاب، وهذا بنفسه يعتبر عقوبة أشد، لأنَّ الإنسان إذا رأى معه بعض المسجونين فستهون عليه المصيبة[153]، وذكر الشيخ الطوسي: قال أهل اللغة: الزفير أول نهاق الحمير، والشهيق آخر نهاقها والزفير ترديد النفس مع الصوت من الحزن حتى تنتفخ الضلوع وأصل الزفير الشدة من قولهم للشديد الخلق المزفور، والزفر الحمل على الظهر خاصة لشدته، والزفر السيد، لأنه يطيق عمل الشدائد، وزفرت النار إذا سمع لها صوت في شدة توقدها، والشهيق صوت فظيع يخرج من الجوف عند النفس[154]. وقال العلامة المصطفوي: "فالزفير تنفّس عميق وفيه نوع من التحمّل في جهة – إدامة الحياة الجسمانيّة والبدنيّة، والشهيق يقابله وهومن الشهق بمعنى الارتفاع، لارتفاع التنفّس وخروجه من القصبة. وهذا النحو من التنفّس العميق الممتدّ المحسوس انّما يتحصّل في موارد الابتلاء والشدّة والتألّم الأليم"[155]. وهذا الابتلاء الشديد إذا استولى على الإنسان: يمنعه عن الإحساسات وتتوقّف حواسّه البدنيّة عن الإدراك، فلا يسمع خبراً ولا خطابا وينقطع ارتباطه عن الخارج، وأمّا الزفير في مقام نفس الإنسان (فانّ – الأصل في عالم الآخرة هوما يرجع إلى النفس والبدن اللطيف، لاضمحلال الكثافة) فمرجعه إلى تحمّل الصفات الراسخة الرذيلة وهجومها على القلب آنا فآنا وامتلاء القلب منها ثمّ دفعها وإخراجها بصورة الشهيق[156].

ويكشف الطِّباق بين اللفظتين (شهيق، زفير) صراخ الكافرين وتوجعهم أثناء التنفس نتيجة العذاب، والطِّباق هنا لبيان حاجة الأشقياء من الكفار في النار، فيسمع فيها شهيقهم وزفيرهم من شدة الألم من عذابهم فهو وقع في التخويف والتهويل.

10- اللفظتان (النَّهَارِ – اللَّيْلِ)

*** النَّهَارِ:**

قال الخليل: "النَّهَرُ لغة في النَّهْرِ، والجميع: نُهُرٌ وأَنْهَارٌ. واسْتَنْهَرَ النَّهْرُ، أي: أخذ لمجراه موضعا مكينا. والمَنْهَرُ: موضع النَّهْر يحتفره الماء. والنَّهَارُ: ضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، لا يجمع. ورجل نَهِرٌ: صاحب نهار، قال[157]:

لست بليلي ولكني نَهِر لا أدلج الليل ولكن أبتكر

والنَّهَارُ: فرخ القطا والغطاط والعقاب ونحوه. ثلاثة أَنْهِرَةٍ. ونَهَرْتُ الرجلَ نَهْراً وانْتَهَرْتُهُ انْتِهَاراً: زجرته بكلام عن شر"[158]. وذكر الأزهري: نهر: قال اللّيث: النَّهَر لغةٌ في النهر، والجميع نُهُر وأنهار. واستنهرَ النهرَ: إذا أَخَذَ لمجراه موضعاً مَكيناً قال: والمَنْهَرُ: موضع النهر يحتفِره الماءُ. قال: والنهار: ضياء ما بين طلوع الفَجر إلى غروب الشمس، ولا يُجمع. ورجلٌ نَهِر: صاحبُ نهار. وقال الفرّاء في قول الله جلّ وعزّ: **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ}**[159]، أي في ضياءٍ وسَعة، وقال الفرّاء: وسمعتُ العربَ تُنْشِد:

إنْ تكُ لَيْلِيّاً فإني نَهِرُ مَتَى أَرَى الصُّبحَ فَلَا أنتظِرُ

وقال: ومعنى نَهِر: أي صاحبُ نهار، لستُ بصاحب ليل وأَنشَد ابن سيدة:

لولا الثَّرِيدانِ هَلَكْنَا بالضُّمُرْ ثَرِيدُ ليلٍ وثريدٌ وبالنُّهُرْ

قلتُ: النُّهُر جمعُ النهار هاهنا، والنهار اسمٌ، وهو ضدّ اللّيل، والنهار اسم لكلّ يومٍ، وذكر ابن فارس[160]: أنَّ نهر: النون والهاء والراء أصل صحيح يدلّ على تفتّح شيء أوفتحه، وأنهَرْتُ الدّم فتحته وأرسلته، وسمّي النّهر لأنّه ينهر الأرض أي يشقّها، ومنه النَّهار انفتاح الظّلمة عن الضّياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشّمس، ويقولون إنّ النّهار يجمع على نُهُر، ورجل نَهِر صاحب نهار كأنّه لا ينبعث ليلا، قال:

لست بليليّ ولكنّي نهر[161]*

وذكر ابن منظور: نهر: النَّهْرُ والنَّهَرُ: واحد الأَنْهارِ، وفي المحكم: النَّهْرُ والنَّهَر من مجاري المياه، والجمع أَنْهارٌ ونُهُرٌ ونُهُورٌ، الإنهار الإسالة والصب بكثرة، وقيل في قوله: **{جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ}**؛ أَي في ضياء وسعة لأَن الجنة ليس فيها ليل إنما هونور يتلألأُ، والنَّهار: ضِياءُ ما بين طلوع الفجر إِلى غروب الشمس، وقيل: من طلوع الشمس إِلى غروبها، وقال بعضهم: النهار انتشار ضوء البصر واجتماعه، والجمع أَنْهُرٌ؛ عن الجوهري: النهار ضد الليل، ولا يجمع كما لا يجمع العذاب والسَّرابُ، والنهار اسم وهوضد الليل، والنهار اسم لكل يوم[162].

*** اللَّيْلِ:**

قال الخليل[163]: "ليل: اللَّيْلُ: ضد النهار، واللَّيْلُ: ظلام وسواد. والنور والضياء ينهر، أي: يضيء. واللَّيْلُ يَلِيلُ إذا أظلم، فإذا أفردت أحدهما من الآخر قلت: ليلة ويوم وتصغير [ليلة]: لييلية، أخرجوا الياء الآخرة من مخرجها في الليالي، إنما كان أصل تأسيس بنائها: ليلاة فقصرت. وتقول: لَيْلَةٌ لَيْلَاءُ، أي: شديدة الظلمة، قال الكميت:

...ولَيْلُهُمُ الْأَلْيَلُ"[164]

وذكر الأزهري: ليل: قال الليث: اللَّيل: ضِدّ النَّهار.واللَّيل: ظلامُ اللَّيل.والنّهار: الضِّياء. فإذا أفردت أحدهما من الآخر قلت: ليلة، ويَوم. وتصغير ليلة: لُيَيْلة، أخرجوا الياء الأخيرة من مخرجها في اللَّيالي. وقال الفراء: ليلة، كانت في الأصل: لَيْلية، ولذلك صُغِّرت: لُيَيلة. وقال: وإلى نِصف النهار تقول: فعلتُ اللَّيلةَ. فإذا زالت الشمسُ قلت: فعلتُ البارحةَ، لِلَّيْلة التي قد مَضَت.والعرب تقول: رأيت الليلةَ في منامي، مُذْ غدوةٍ إلى زَوال الشمس. عن أبي الهيثم: النّهار، اسم، وهوضدّ اللَّيل. والليل: اسم لكُل ليلة. وجمعها: ليالٍ[165]. وقال ابن فارس[166]: "ليل: اللام والياء واللام كلمة، وهي اللَّيل: خِلافُ النهار. يقال ليلةٌ ولَيْلات. وأمَّا اللَّيالي"[167].

وقد ورد ذكرها في سورة هود في قوله تعالى: **{وَأَقِمْ الصَّلاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}**[168].

أمّا المفسّرون، فقد ذكر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: أنَّ ظاهر التعبير من طرفي النهار هو بيان صلاة الصبح وصلاة المغرب اللتان يقعان طرفي النهار، و"الزلف" جمع "زلفة" تعني القرب، ويشار بها إلى أول الليل القريب من النهار فتنطبق على صلاة العشاء، وغموض الإجابة دعا بعض المفسرين لان يتوسع في معنى طرفي النهار ليشمل صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب أيضا، وبالتعبير بـ وزلفاً من الليل الذي يشير إلى صلاة العشاء تكون جميع الصلوات الخمس قد دخلت في الآية الكريمة[169]، وذكر الشيخ الطوسي: وقوله: {طرفي النهار} يريد بهما صلاة الفجر والمغرب، ويحتمل أن يريد بذلك صلاة الفجر والعصر، لأنَّ طرف الشيء من الشيء وصلاة المغرب ليست من النهار، وقوله " وزلفا من الليل " قال ابن زيد: يريد العشاء الآخرة وقال الزجاج يعني المغرب والعشاء الآخرة ومن قال: المراد بـ {طرفي النهار} الفجر والمغرب، قال ترك ذكر الظهر والعصر لأحد أمرين: أحدهما ترك ذكرهما لظهورهما في أنَّهما صلاة النهار، والتقدير أم الصلاة طرفي النهار مع الصلاة المعروفة من صلاة النهار، والآخر – انَّهما ذكراً على التبع للطرف الأخير، لأنَّهما بعد الزوال، فهما أقرب إليه. وقد قال الله تعالى: **{أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل}**[170] ودلوكها زوالها[171]. وقال السيد الطباطبائي: "طرفا النهار هو الصباح والمساء، والتقدير وساعات من الليل أقرب من النهار، والمعنى أقم الصلاة في الصباح والمساء وفي ساعات من الليل هي أقرب من النهار، وينطبق من الصلوات الخمس اليومية على صلاة الصبح والعصر وهى صلاة المساء والمغرب والعشاء الآخرة، وقتهما زلف من الليل كما قاله بعضهم، أو على الصبح والمغرب ووقتهما طرفا النهار والعشاء الآخرة ووقتها زلف من الليل كما قاله آخرون، وقيل غير ذلك"[172].

الطِّباق في الآية الكريمة جاء في سياق الأمر بإقامة الصلاة وأفاد أن الصلاة التي هي أهم الأركان في الإسلام يجب أن لا يغفل عنها العبد حسب مواقيتها المفصلة في الليل والنهار.

النّتائجُ

تطرّقتْ سورةُ هودٍ إلى سياقاتٍ منْ صورِ طباقِ الإيجاب بنسقٍ بيانيٍّ متمثلٍ في المطابقةِ بين اسمَيْنِ أو فعلَيْنِ، أو ظرفَيْنِ، وِفقًا لمنهجِ النّصّ القرآني في سورةِ هودٍ في نقلِ الرّسالة إلى المتلقينَ، وتوصّلَ البحثُ إلى:

1- وردَ طباقُ الإيجاب في أشكالٍ متنوّعةٍ في سورةِ هودٍ، وكانَ منهجُ السّورةِ في توظيفِ ظاهرةِ طباقِ الإيجاب إشارةً لدورهِ في إضاءةِ وتحسينِ النّصوصِ القرآنيّةِ في سورة هودٍ،.

2- بيانُ خاصيّةِ دلاليّةٍ لما وردَ في نصوصِ هذه السّورة المباركة من أخبارٍ، وتبشيرٍ وتنذيرٍ، وحوادثٍ طرأت على الرّسولِ الأعظم(صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ)، وكذلكَ بعض الأوامر والنّواهي.

3- جاءت ظاهرةُ طباقِ الإيجاب في النّصوصِ القرآنيّة من سورةِ هودٍ متنوّعةَ الصّورِ من خلال المطابقةِ بين الاسمينِ، أو الفعلينِ، أو الظّرفين، والامتزاج بينَ الفعلِ والاسمِ، أو بين البِناءِ السّطحي والعميقِ حسب سياقها في سورةِ هودٍ، لبيانِ خاصيّةٍ دلاليّةٍ واضحةٍ معيّنةٍ.

4- تمثّلتْ المستوياتُ الدلاليّةُ في إبرازِ العلاقةِ بين اللفظَيْنِ المتضادينِ، كونَ أنَّ الجزاءَ منْ جنسِ العملِ، فجاءتْ أغلبُ الصّورِ بأساليبَ خبريّةٍ، و إنشائيّةٍ.

5- تعددُ أشكالُ الطِّباق في سورة هودٍ أسهمَ في تشكيل البِنيةِ الدّلاليّةِ وفقًا لما وردَ في النّصوصِ القرآنيّةِ من سورةِ هودٍ.

6- ورود طباق الإيجاب بينَ الفعلينِ بنسبةٍ أكبرَ من غيرها ؛ لأنَّ منهجَ سورةِ هودٍ في توظيفِ الظّاهرة قريبٌ منَ الجانبِ الذّهنيّ العقلانيّ.

7- انمازتْ سورةُ هودٍ بتوظيفِ الأساليبِ الخبريّةِ، كونها متطابقةً مع ظواهرِ طباقِ الإيجاب في سياقاتها الرّائعةِ في الإثباتِ.

1 . سورة هود: آية 2.
2 . العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين:457
3 . الأحمد نكري، دستور العلماء:198/2
4 . مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها:552
5 .سورة هود،الآية: 1.
6 . ديوانه: ص 34.
7 . هود: 1.
8 . الأنعَام: 38.
9 . يُونس: 1.
10 . ينظر: الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة،(دار إحياء التراث العربي، بيروت،1421 ه،ج4، ط1)،ص: 69-70.
11 . ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد،ا لصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية،(بيروت،دار العلم للملايين،1376 ه،ج5،ط1)،ص: 1901-1902.

الطِّباق الإيجابي في سورة هود (دراسة دلالية)

أ.م.د. سيد محمد رضي مصطفوي نيا

مساعد المشرف الدكتور: عبد الصاحب طهماسبي

الباحث: مرتضى محمد جدوع السلطاني

12 . القاموس المحيط، ج4، ص: 39
13 . فصلت: 3
14 . الأعراف: 132
15 . تهذيب اللغة، ج12، ص: 135-136.
16 . ينظر: الصحاح، ج5، ص:1790- 1791.
17 . معجم مقاييس اللغة، ج4، ص: 505.
18 .سورة هود،الآية: 1.
19 . ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج6،ص: 461-462.
20. التبيان في تفسير القرآن،ج5،ص:446.
21 . تفسير الميزان،ج3،ص: 17.
22 . ينظر: الشيخ الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، ج ٢،ص ١٥٤.
23 . جاء بعد هذا في الأصول المخطوطة: قال الضرير: لكني أقول: أنذروا إنذارا ويقال: جاءهم الإنذار والنذير والنذارة.
24 . كتاب العين،ج8،ص: 180.
25 . معجم مقاييس اللغة،ج5،ص: 414.
26 . سورة النجم: آية:56
27 . سورة القمر: آية 18.
28 . ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص:797- 798.
29 . ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج5، ص: 39.
30 . ينظر: كتاب العين، ج6، ص: 269.
31 . ينظر: تهذيب اللغة، ج11، ص: 245-246.
32 . التوبة: 111.
33 . ينظر: لسان العرب، ج4، ص: 62.
34 . سورة هود: آية 2.
35 . التبيان في تفسير القرآن،ج5،ص: 447.
36 . ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ,ج6،ص: 461.
37. ينظر: التفسير الكاشف،ج4،ص: 204.
38 . ينظر: تفسير الميزان،ج10،ص: 135.
39 . البقرة: 119.
40 . الإحزاب: 45،الفتح: 8.
41. ينظر: الفروق الدلالية،ص625.
42 . ينظر: معجم مقاييس اللغة، ج3، ص: 67.
43 . طه: آية 7.
44. يونس: آية 54.
45 . ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص: 404.
46 . ينظر: لسان العرب، ج4، ص: 356-357.
47 . اللسان(وعز)، غير معز وأيضا.
48. كتاب العين،ج2،ص: 141.
49 . تهذيب اللغة، ج2، ص: 240.
50 . معجم مقاييس اللغة، ج4، ص: 111.
51 . نوح: آية 9.
52 . القصص: آية 69 .
53 . مفردات ألفاظ القرآن، ص: 582.

54 . سورة هود: آية 5.
55 . التبيان في تفسير القرآن،ج5،ص: 450.
56 . ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج6،ص: 464-465.
57 . التفسير الكاشف،ج4،ص: 205.
58 . ينظر: كتاب العين، ج7، ص: 318-319.
59 . معجم مقاييس اللغة، ج3، ص: 98.
60 . ينظر: تهذيب اللغة، ج13، ص: 78-79.
61 . كتاب العين، ج7، ص: 55-56.
62. في الأصل:« أم به»، صوابه من الديوان 587 واللسان(وجس، أرض، موم).
63. يقال أرضون بفتح الراء وسكونها، وأرضات بفتح الراء، وآروض بالضم.
64 . ينظر: معجم مقاييس اللغة، ج1، ص: 79-80.
65. ينظر: لسان العرب، ج7، ص: 111-112.
66. سورة هود: آية 7.
67. سورة هود: آية 108.
68 . تفسير القرآن الكريم،ج3،ص: 400
69. ينظر: المصدر نفسه، ص: 401-202.
70. عقائد الإسلام من القرآن الكريم،ج1،ص: 167.
71 . ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج8،ص: 44-45.
72. سورة هود: آية 7.
73 . سورة ص: آية 18.
74. شاملي، نصر الله، دراسة أسلوبية سورة (ص): ص74.
75. سورة ص: آية 28.
76 . كذا في الأصول المخطوطة: ولم نجده في سائر المعجمات.
77 . ينظر: كتاب العين، ج2، ص: 266-267.
78. ينظر: تهذيب اللغة، ج3، ص: 154-155.
79 . سورة طه: آية 125.
80 . سورة الحَجّ: آية 46.
81 . ينظر: معجم مقاييس اللغة، ج4، ص: 133-135.
82 . الشطر في التهذيب واللسان غير منسوب.
83 . كتاب العين، ج7، ص: 117.
84. البيت من قصيدة للأسعر، هي في أول الإصبعيات. وانظر اللسان(بصر، عتد، وأى).
85 . معجم مقاييس اللغة، ج1، ص: 253-254.
86. ينظر: لسان العرب، ج4، ص: 64-65.
87. سورة هود: آية 24.
88. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج6،ص: 511.
89 . التبيان في تفسير القرآن،ج5،ص: 468.
90 . المصدر نفسه: 468-469.
91. تفسير مجمع البيان،ج5 ،259.
92. لم نهتد إلى الراجز.
93 . كتاب العين، ج2، ص: 151.
94 . ينظر: تهذيب اللغة، ج2، ص: 249-250.
95. المذكور في المعاجم« البالوعة» و« البلوعة» و« البلاعة».
96 . معجم مقاييس اللغة، ج1، ص: 301.
97 . ينظر: كتاب العين، ج1، ص: 165-166.
98 . ينظر: معجم مقاييس اللغة، ج5، ص: 21-22.
99 . ينظر: لسان العرب، ج8، ص: 290-292.
100 . سورة هود: آية 44.
101 . الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج6،ص: 548.

الطِّباق الإيجابي في سورة هود (دراسة دلالية)

أ.م.د. سيد محمد رضي مصطفوي نيا

مساعد المشرف الدكتور: عبد الصاحب طهماسبي

الباحث: مرتضى محمد جدوع السلطاني

102 . التبيان في تفسير القرآن،ج5،ص: 492.
103 . المصدر نفسه: ص: 492.
104 . ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم،ج9،ص: 308.
105 . المصدر نفسه،ج1،ص: 332.
106 . لم يقع لنا القائل ولا القول.
107 . ينظر: كتاب العين، ج1، ص: 281-282.
108 . سورة الرُّوم: آية 54.
109 . ينظر: تهذيب اللغة، ج1، ص: 305-306.
110 . معجم مقاييس اللغة، ج3، ص: 362.
111. سورة ص: آية 23.
112 . ينظر: كتاب العين، ج1، ص: 77.
113. سورة المنَافِقون: آية 8 .
114. سورة المَائدة: آية 54.
115 . ينظر: تهذيب اللغة، ج1، ص: 65-66.
116 . ينظر: لسان العرب، ج5، ص: 377.
117 . سورة هود: آية 91.
118 . ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج7،ص: 42.
119 . ينظر: التبيان في تفسير القرآن،ج6،ص: 54.
120 . تفسير الميزان،ج10،ص: 374.
121 . هود: 92.
122 . ينظر: المصدر نفسه: ص: 275.
123 . كتاب العين، ج5، ص: 184.
124 . معجم مقاييس اللغة، ج3، ص: 202.
125 . ينظر: لسان العرب، ج14، ص: 438-439.
126 . القاموس المحيط، ج4، ص: 389.
127 . كتاب العين، ج1، ص: 321-322.
128 . ينظر: تهذيب اللغة، ج2، ص: 43-45.
129. سورة هود: آية 108.
130. سورة هود: آية 105.
131. عن عبد الله بن عمر أنّ تلبية رسول الله صلّى الله عليه وسلم:« لبّيك اللهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». قال نافع: وكان عبد الله بن عمر يزيد فيها: لبّيك لبّيك، لبّيك وسعديك، والخير بيديك، لبّيك والرّغبى إليك والعمل. زاد مسلم: قال ابن عمر: كان عمر يهلّ بهذا ويزيد: لبيك ... إلخ. أخرجه البخاري ومسلم ومالك، انظر: شرح السنة 7/ 49، ومسلم(1184)، وفتح الباري 3/ 409- 410.
132 . مفردات ألفاظ القرآن، ص: 410.
133. سورة هود: آية 105.
134. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج7 ،ص: 61.
135. ينظر: المصدر نفسه،ج7 ،ص: 71-72.
136. التبيان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ٦٥.
137 . ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٥، ص: ١٢٨.
138 . المصدر نفسه: ج ٥، ص: ١٢٩.
139 . التفسير الكاشف، ج ٤، ص ٢٦٩.
140. كتاب العين، ج7، ص: 360.

141 . سورة هود: آية 106.
142 تهذيب اللغة، ج13، ص: 133.
143 . سورة الأنبياء: آية 100.
144 . مفردات ألفاظ القرآن، ص: 380.
145 . ينظر: لسان العرب، ج4، ص: 324-325.
146 . كتاب العين، ج3، ص: 361.
147 . جمهرة اللغة، ج2، ص: 876.
148 . ينظر: تهذيب اللغة، ج5، ص: 254.
149 . ينظر: معجم مقاييس اللغة، ج3، ص: 222-223.
150 . لسان العرب، ج10، ص: 191.
151. سورة هود: آية 106.
152 . الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج10،ص: 250.
153 . ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج10،ص: 250-251.
154 . ينظر: التبيان في تفسير القرآن،ج6،ص: 67.
155 . التحقيق في كلمات القرآن الكريم،ج4،ص: 331.
156 . ينظر: المصدر نفسه: ص: 332.
157 . من أبيات(الكتاب) 2/ 91 غير منسوب.
158 . كتاب العين، ج4، ص: 44-45.
159 . سورة القَمَر: آية 54.
160 . ينظر: معجم مقاييس اللغة، ج5، ص: 362.
161 . أنشده فى اللسان(نهر) والمخصص(9: 51) وكتاب سيبويه(2: 91).
162 . ينظر: لسان العرب، ج5، ص: 236-238.
163 . كتاب العين، ج8، ص: 363.
164 . لم نجد في المظان غير ما وجدناه في الأصول، ولم نهتد إلى تمامه.
165 . ينظر: تهذيب اللغة، ج15، ص: 318-319.
166 . معجم مقاييس اللغة، ج5، ص: 225.
167 . بياض فى الأصل. وفى اللسان:« وقد جمع على ليال فزادوا فيه الياء على غير قياس. قال: ونظيره أهل وأهال. ويقال: كأن الأصل فيها ليلاة فحذفت». يعنى أن مفردها وهو« ليل» أصله« ليلاة»، فحدث فيه الحذف، لكن أبقى الجمع كما هو.
168 . سورة هود: آية 114.
169 . ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج7،ص: 87-88.
170 . سورة الإسراء: آية 78.
171 . ينظر: التبيان في تفسير القرآن،ج6،ص: 79.
172 . تفسير الميزان، ج ١١، ص ٥٨.

فهرس المصادر:

القرآن الكريم.
1. الأحمد نكريّ، عبد النّبيّ بن عبد الرّسول، دستور العُلَمَاء، دَار الكُتُب العِلْمِيّة، بَيْرُوْت، ط1، 1421 ه، 2000م.
2. الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العرب، ط1، 1421هـ.
3. الجزري، ابن أثير مبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، قم: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر،، ط4، 1409هـ.
4. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1376هـ.
5. داود، محمد محمد، الفروق الدلالية في القرآن الكريم، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م.
6. الراغب الاصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، بيروت: دار القلم، 1412هـ.
7. الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت، دار الفكر، ط1، 1414هـ.
8. الشايع، محمد عبد الرحمن، الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، الرياض، مكتبة العكيبان، ط1، 1993م.
9. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، قم، سليمان زادة، ط 1، 1426هـ.
10. الطبطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، قم المشرفة: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين. (د.ت).
11. الطبرسي، أبي علي الفضل بن حسن، تفسير جوامع الجامع، تحقيق مؤسسة النّشر الإسلامي، قم، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، ط1، 1421هـ.

الطِّباق الإيجابي في سورة هود (دراسة دلالية)

أ.م.د. سيد محمد رضي مصطفوي نيا

مساعد المشرف الدكتور: عبد الصاحب طهماسبي

الباحث: مرتضى محمد جدوع السلطاني

12. الطبري، شرف الدين الحسن بن محمد، التبيان في البيان، تحقيق توفيق الفيل، وعبد اللطيف لطف الله، ط1، الكويت، 1986م.
13. الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب القصير، النجف الأشرف، المطبعة العلمية، ١٩٥٧ م.
14. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1408هـ.
15. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1414 هـ.
16. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت395هـ)، كتاب الصناعتين، المكتبة العصرية، بيروت، 1419هـ
17. العسكري، مرتضى، عقائد الإسلام من القرآن الكريم، الناشر كليه اصول الدين، ط 5، 1426هـ.
18. ابن فارس، أبو الحسن أحمد، مقاييس اللغة، قم: مكتب الإعلام الاسلامي، ط1، 1404هـ.
19. المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، طهران، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، ط1، 1417هـ.
20. مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت.
21. مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1981م.